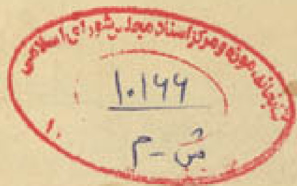
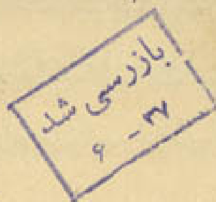
نظم البرهان صغیر









بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين كل كليم

بعد اسم الرب حمد لازم   عند عقل شكر حق جازم
حمده تحميده توحيده   حمد عبد رفده تأييده

الاسم اما ماخوذ من الوسم وهو العلامة اذ هو علامة المسمى دال عليه او
من السمو اذ هو شعاره وبه يرتفع ذكره فان اريد به اللفظ فهو غيره وان
اريد به الذات فهو عينه والله علم او اسم اختص بالمعبود بالحق الذي تحير
العقول عن درك ذاته وعجز الوهم والخيال عن نيل حقيقة انانيته وتطمئن
القلوب بذكره ولكن الارواح بعد ما حجبه عن فكره الى معرفته ومفزع كل
اليه وهو يجير ولا يجار عليه وكل العباد هو لعون اليه في الاختيار ويفزعون
اليه في الاضطرار في كل حال فهو خفي بالذات وظاهر في مظاهر الصفات

فصار

فصار كالعلم فقد تبين وجوه الاشتقاق على ما ذكره القوم بالاتفاق الرحمن
الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من الرحمة وهي وان كانت في اصل اللغة مشعرة
بعطوفة القلب ورقة لكن المشهور ان اسماء الله سبحانه انما يؤخذ من
الاثار والغايات من دون المبادي المدلول عليها في اللغات كما قيل خذ
الغايات واحذف المبادي واليه يرشد كلام الصادق عليه السلام في الاحتجاج
بقوله الرحمة من العباد شيئان احدهما ما يحدث في القلب الرأفة والرقة لما يرى بالمرحوم
من الضر والحاجة وضروب البلاء والاخر ما يحدث منا بعد الرأفة واللطف
على المرحوم والرحمة منا ما نزل به وقد يقول القايل انظر الى رحمة فلان
وانما يريد الفعل الذي حدث عن الرأفة التي في قلب فلان وانما يضاف الى الله عز وجل
من فعل ما حدث عنا من هذه الاشياء وانما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي
عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لا رحمة رقة ثم ذكر عليه السلام نظير ذلك في
الغضب والارادة وفي مذاق التحقيق لذلك معنى اخر دقيق وهو ان
يكون اصل حقيقة تلك الالفاظ قبل الاوضاع وهي التي يسمونها بغايا بها
فيكون بيان الحقيقة من اهل اللغة مما يسمونه بالمبادي ناشيا عن ضيق العبارة

والبصيرة والاحاطة بما بعد لوازم الطبيعة فحقيقة الالفاظ وما يجوز ان
يطلق عليه انما تثبت فيما لديه سبحانه واطلاقها على ما يوجد في مواد الممكنات
يكون من باب المجاز توسعا لباب الاحسان وتنزيل كلام الاهليلجية يدل على
هذا المعنى غير بعيد فان الاطلاق اعم من الحقيقة والفعل احق بالمعنى من
الانفعال فانه الكمال ويحتمل ان يكون التعبير عن المطلوب بما ذكره اقتصارا
على قدر فهم السائل ومماشاة معه في المنازل والله تعالى يعلم وتقديم الظرف
في وبه نستعين للاهتمام لشرف ذكره في غيبه ولافادة الحصر الناشي عن تقديمه
ولمراعاة الوزن وضمن وزنه رسمه والتكليم ماخوذ اما من الكلم وهو
الجرح فيكون فعيلا بمعنى المفعول اعترافا بعجز الغواسق والممكنات في
حقايق ذواتها عن اكتساب نورها وضيائها الا بتلادم ماهياتها وماهياتها
باضمحلالها لدى حضرة مبدعها غير خارجة عن ظلمات العدم قطعا باولوية
وجودها وكمالها واللايق الاستعانة من فيض جوده بعد الاقرار بافتقارها
ليكتسي ثوب البقاء في المهمات كلها فلذا لم يذكر المستعان فيه ليذهب الذهن
كل مذهب تمام ايصل اليه لسبب وغير سبب فان حذف متعلقات الفعل

مفيد للعموم على ما بين في محله او ماخوذ من الكلام فالمراد كل متكلم
ففيه دعاية برعاية الاستهلال اذا المقام معرض ذكر علم الكلام
وانما ابتدء باسم الله استعانة بخير اسمائه واستنانا بالسنة رسوله صلعم
وامتثالا لامره وليته وتذكارا للعوالم كلها المطابق لحروف بسم الله
فانها ثمانية عشر حرفا وكل حرف على ما نبه به بعض العرفاء اشارة الى
الف عالم من تلك العوالم اذ الالف هو العدد التام المشتمل على ساير
مراتب الاعداد والالف المحتجبة المخفية في بسم الله والرحمن
على ما قاله بعض اهل العرفان اشارة الى العالم الالهي باعتبار الذات والصفات
والافعال فهي ثلاثة عند التفصيل وواحدة عند التحقيق خفية بالحقيقة
ظاهرة بالاثار واستدعاء لتوفيق التمام ولتاييد الوفاء بحق المقام ثم
اردفه بالتحميد تادبا باداب الحميد المجيد وتخلقا باخلاق الحليم
الرشيد وشكرا لنبذ كان الجمال الاعلى والجلال الاسنى والتماسا
لمزيد الاحسان والثناء والحمد يطلق على اربعة معان يمكن ارادة كل
واحد منها كما يحتمل ارادة اكثر من واحد منها بعموم المجاز او الاشتراك الحامدية

والمحمودية كما قال القائل وهو المحمود اوّلا والحامد والفقد المشترك بينهما
والحاصل بالمصدر الذي يعبّر عنه بالفارسية بستايش وفي اللغة هو
الثناء باللسان على الجميل الاختياري نعمة كان او غيرها على القصد
التبجيل والتعظيم فنعم الفضائل والفواضل فيخرج به الاستهزاء والتهكم
كقوله تع ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ والمدح هو الثناء
باللسان على الجميل مط وجعلهما الزمخشري اخوين وفي المعنى مترادفين
وحمد الله سبحانه على الصفات العليا والنعمات الاقصى من باب الاتساع
لظهور المعنى والشكر ما قابل النعمة قولًا وفعلًا او اعتقادًا وبالجملة
هو صرف جميع ما انزل الله وانعم الله سبحانه عليه فيما خلق لاجله واعطاه
لطيه ونشره وهذا معناه في الاصطلاح فهو لعم الثلثة من حيث المورد
واخص من حيث المتعلق ثم اصطلحوا الحمد الفعل ينبئ عن تعظيم المنعم
باللسان او الجنان او الاركان فوافق اذا الشكر لغة واصطلحوا المدح بانه
ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل ونقيض في الثلاثة ايضه
في النقيض ونقيض الحمد الذم والشكر الكفران والمدح الهجو والثناء الثناء

بعقل

بتقديم النون على قول جماعة من اهل اللغة والعقل هيهنا قوة للنفس
بها يتميز الحق والباطل ومنها نفترق الكلام الشامل الكامل تماما لا
طائل وبها يتبين الغث والسمين وعنها يرتقي المتقون في مقام الز
ومن اجلها يعبد الرحمن ويكتسب الجنان ووجوب شكر المنعم
عقلا مما اتفق عليه الطائفة المحقة الامامية ووافقهم المعتزلة
وخالفنا الاشاعرة فيه تشبثا بنسج العنكبوت وشبهات ناشئة
عن البهوت مثل قولهم في مقام الاستبعاد واظهار اللداد بلزوم
العبث وعدم الفائدة فيه فانها اما عائدة اليه سبحانه وهو المتعالي
عنها الغنى في الذات والصفات بالاتفاق واما الى العبد وليس في
الدنيا لظهور التعب والمشقة في التكاليف من غير اهتزاز النفس
بها ونشاطها فيها وليس لمدرك العقول سبيل بعد الدنيا الى امور
الاخرى واجيب ببيان الفائدة في الدارين ووصول العائدة الى
العبد من السبيلين اما في الدنيا فلامنه من احتمال العقاب بتركه
الملاذ العرفاء بامتثال امره والانتهاء عن نهيه كما اشار اليه ستيد

الانبياء بقوله الا ان قرة عيني في الصلوة وعن اهل بيته عليهم السلام
ان للصائم فرحتين فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه واما
في الآخرة فلحكم العقل الصريح باستحقاق مزيد الاحسان بعد الاذعان
بموهبة الامتنان وامتثال ما كلفه المنان ولو بعنوان الاجمال كما يحكم
من اجل ذلك بوجوب المعاد ولولاه للزم العبث من نيل الثواب والعقاب
واما ما طرحوه من المثال لبيان المحال بان مثل الشاكر كمثل فقير
اليم قد حضر مائدة ملك عظيم مالك للبلاد منعم على العباد فوهبه
الملك كسرة من خبز فشرع ذلك الفقير في تعداد كرمه واحسانه واطنب بكلام
دائما في جميع المجالس والمحافل في تبيان جليل نعمه وامتنانه وليتنبه اليه
بالانامل وبتطبيقه من الاداب الجلائل ولا ريب ان مثل ذلك استهزاء لبنانه وسخرية
بجلاله وجميع نعم الله الى عبده اصغر بكثير من تلك الكسرة وشكر العبد اقل و
اقل من تحريك الاصبع وان بلغ الغاية ووصل الى النهاية فاجيب عنه بان ما ذكروه
ليس مثالا لما فيه النزاع بل المثل بمثيله خارج عن الطريقة المثلى بالاختراع لان
مبناه الاستهزاء والسخرية وعدمهما على ملاحظة حال المنعم عليه فاذا كانت

النعمة لا نقيصة له وبها يحصل ما آربه وفيها ثبت مطالبه فلا يعد شكره مع
تعظيم قلبه استهزاء وان لم يكن له قدر بالنسبة الى المنعم اصلا ومثلوا
لما نحن فيه برجل قد ابتلي بانواع المحن والآلام واصناف المرض والاسقام
قد ذهب حواسه وانكسر اساسه وتفرق عنه خواصه فجائه ملك عظيم وخلصه
من بلائه وافاض عليه من نعمائه والائه وشرفه بالتعظيمات والحبه في دوائه
الكرامات ثم ذلك الرجل صار ناسيا لجزيل احسانه غير ملتفت الى جليل انعامه ولم
يتوجه اليه اصلا ولم يشكره سرا وجهرا بل ضرب عنه صفحا وطوى عن ذكره
كشحا فهو في حكم العقلاء يستحق الذم والخذلان وينسب الى السفاهة والكفران
بل يخرجونه عن حد حقيقة الانسان ويضعونه بينهم في زاوية النسيان ويمكن
ان يقال لو صح مبنى مثالكم للزم ترتب الفساد وهو ما يوجب السخرية ولا
استهزاء على ما اوجبه سبحانه من احكامه وذلك باطل بالاتفاق اما عند
العدلية فظ واما عند الاشاعرة فلقولهم بترتب الحكم والمصالح على افعاله
واقواله لاجل شانه وان لم يكن غرضا له فتامل في هذه الجملة ثم لما كان العبد في
قصوره ودثوره ليس في وسع وقوة وصف حقيقة ذرة من ذرات العالم

بالمقال فكيف يسع ان يجرى اللسان بحمد من علا عن الوهم والخيال ونعت من تعالى
عن المثل والمثال بل عقل الكل عند ساحة عزه محجوب المثال فلذا اكتفى بذكر
حمده لنفسه تعالى شانه وعظم برهانه فتحقق الحمد وتمام المجد ولما كان جل
التحميد الصادر من عند الرب المجيد هو التوحيد الجامع لتوحيد الذات
وتوحيد الصفات وتوحيد الافعال المعبر عنها عند اهل التحقيق بالاحدية
الذاتية والاحدية الالوهية والاحدية الربوبية الحاوية لها سورة التوحيد
خص اشرف المحامد هنا بالذكر واختار اجل العبارة عند الفكر ثم ادرج توضيحا
للمرام وتبيينا للكلام حمد كل حامد بلسان المقال وبلب العقل وحسن الفعال
اليه جل شانه وعم نواله فكل كمال من صلة عطاه وكل ثناء من جميل حباه وهو الله
سبحانه جل وعلا من ان يحيط بشيء من علمه منثور الهبا كما قال القائل الملهم
الكلام الصاعد وهو المحمود اولا والحامد ما وحده موحد الا هو
﴿وَاللَّهُ الْحَكَمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وقال آخر ما وحد الواحد من واحد اذ كل من وحده
جاحد توحيد من ينطق عن نعته عارية ابطلها الواحد توحيده اياه
توحيده ونعت من ينعته لاحد وقال امام بحق ناطق محمد باقر علوم الاولين

والآخرين

والآخرين كل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع
مثلكم مردود اليكم وفي قوله ثم ما عرفناك حق معرفتك وقوله لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك دليل حاسم وبرهان جازم والله ولي
التوحيد والتوفيق والرفد بكسر الراء المهملة العطاء والصلة والتاييد
مصدر ايده اذا قواه والمراد توفيقه للسداد اي الصواب من القول
والعمل فيكل باب الحمد لله صلوات بهرت من نورها واضائت كضياء
نورها وتحيات على خير الورى آله الاطهار سادات البرا وصحابه
عندهم خير مقال اننا من ودهم في حسن حال اردف ثناء الله
بالصلوات والتحيات لشافع العرصات تخلقا باخلاق مالك الرقاب
امتثالا لامره النافذ في الارضين والسموات واستشفاعا لسيد الكائنات
وغاية وجود المكونات المخصوص بنص لولاك لما خلقت الافلاك الكائن اجل
نوره المقدس صار آدم مسجودا للاملاك واستيفاقا لشرف ذكره عن جناب
الحق وتفضلا بفيض سناه الى الفياض المطلق اذ هبه يذهب النفاق ويفصل
الشقاق وتخلصا باستمداد خلقه العظيم عن رذائل الاخلاق اذ لا وسيلة غيره

من وسيلته ولا طريق الى جناب القدس انجح من سلوك طريقته فان الصلوة عليه
واله من خير الاعمال وبه يختم قضاء الامال وهي كفارة المساكين ومن لا كفارة
له من العاصين وذخر وذخيرة في يوم الدين عند رب العالمين ومن اجلها يقبل اعمال
الصالحين ومنها يجري جزاء الشاكرين الفائزين وانما اداها بصيغة التنكير وهو اما
الى التعظيم كقوله له حاجب في كل امر يشينه او للتكثير كقولهم ان له لابلا او هما
كقوله سبحانه فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ ولم يسندها الى فاعل ارادة اختصاص
الحقيقة كي يعم كل مصل وكذا في التحية واشار بقوله تهب الى ما ورد في
الاخبار من ان للاعمال الصالحات نورا يصعد الى السموات ويسعى بين ايدي
عامليها في العرصات وان عجز عن درك انوارها الخفافيش وانقطعت سبل الوصول
الى نيلها للرعشيش وانما حذف المفعول ومتعلقاته قصدا الى التعميم وهذا
المعنى في الاخير في مقام التسليم وان نازع في الاول بعض من ليس له التكريم فحفظ
به فانه نافع لك في بعض ما يرد عليك من امثاله سيما في مباحث الامامة انشاء
الله تعالى في اسمائه واشار بضياء دورها الى ما ورد فيها من ان بيوتا يتلى ايات الله
فيها حق تلاوتها ويعبدون الله في مكانها يسطع نورها الى العرش الاعلى ويستضيئ

يضيئ بها

يضيئ بها السموات العلى اهلها من الملاء الاعلى فان المثل المؤمن كمثل الكوكب
الدري في السماء فلذا استعيرها به الاشرف بالنفس من حيث استفادة ذوي
العالم من لدن ذاته النور واستنادها من طلعته وان كانت في الليل الديجور كما
هو مذهب جماعة من اهل التحقيق في سر الاعظم والخلق الاكرم فكل نور محمود
لدى نوره وكل شيء بعده كالظل قد انمحق عند ظهوره واليه قد وقعت الاشارة
بقوله ص ادم ومن دونه تحت لوائي وهو لواء الحمد الذي اختص به من الانبياء
ويكون بيد اخيه وخليفته يوم الجزاء وهو الولي الاكرم الاعظم في حقيقة الامر
لا ادم واول خلق قدر في تقدير العالم وان كان في ظاهر الصورة وعالم الطبيعة
من احفاده وفي اصلاب شامخة وارحام مطهرة من اولاده حتى بلغ اوان ظهور
فملاء العالم من النور كما اشار الى ما ذكر بقوله ص كُنْتُ نبيًّا وادم بين الماء
والطين في المستفيض المتبين وبقوله ص اول ما خلق الله نوري والوري كفى الخلق
والال في الاصل بمعنى الاهل ثم خص بالاشراف ومن لهم كمال الاختصاص بسادات
الناس وقد اطلق في لسان الشريعة القويمة على جميع المؤمنين ثم الهاشميين ثم على
الذرية الطيبين ثم على خصوص السادات النجيبين الائمة المعصومين الطاهرين

من الناس المنزهين عن الرجس بالنص في الكتاب المبين والسنة المستفيضة
بين الفريقين وهم افضل من كل الملاء في الاخرة والاولى كما قال فخر العالمين
في شان جلالة الحسنين انهما سيدا شباب اهل الجنة اجمعين وابوهما خير
منهما فهم المخصوصون بالشرافة والاولون بالكرامة وقد يخص باصحاب العبا
ولنعم ما قال امام اهل السنة في تفسيره الكبير تحت قوله تعالى قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وقد نقله شيخنا الجليل البهائي عنه في شرح الفرائض النجفية
بقوله آل محمد ص هم الذين يؤل امرهم اليه فكل من كان مال امرهم اليه اشد
واكمل كانوا هم الآل ولا شك ان فاطمة وعليا والحسن والحسين صلوات الله
عليهم اجمعين كان التعلق بينهم وبين رسول الله ص اشد التعلقات وهذا
كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب ان يكونوا هم الآل انتهى كلامه بعبارته
لم يبال الحجة عليه وعلى اضرابه والجهلة امثالنا والزمخشري في تفسير آية المباهلة
من الكشاف بعدما روى نزولها في شانهم عن عائشة ونطق بالحق حيث قال
وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء وافاد التفتازاني في تعليقاته
عليه وابدع عليه بقوله نعم وفيه دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ثم

التعميم في الائمة احق واولى بل يجب ليشمل الشيعة العظمى كما تقدم النص به في
بعض اخبار اولى النهى والصلوة عليهم وعلى ساير المؤمنين جايز في الشرع القويم
والذكر الحكيم بل هي من اعظم العبادات لدى القلب السليم قال الله سبحانه
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وقال خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ وَ
صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ فقال صلى الله عليه وآله امتثالا لامره العلي
الاعلى اللهم صل على آل ابي اوفى وقد وصل الى سادات اولي الالباب انباءهم
من اللباب مصايب جليلة مما لا يطاق ولا يسعه التحرير ولا الكتاب حتى شاع وذاع بين
من خالفهم وبين الاحباب ولقد تكلم العلامة التفتازاني في مقاصده بهذا الباب
فهم العابدون السائحون وللزكوة فاعلون وعن غير ذكر ربهم معرضون وقد جرت
بها السنة السنية واستفاضت فيهما من الطرفين اخبار كثيرة ولكن الناس لا خير فيهم
يضرون فيما ليس لهم بل عليهم يعرف ذلك من تتبع فيها وفي التختم باليمين ووضع ا
الجريدة خلاف التسنيم صحاحهم وكلامهم فهم المحرومون عن الفضايل على زعم انا فهم
المبتلون ببوه فضائلهم في شنارهم والاطهار جمع طهر وهو اما مصدر او اسم

من طهر ككرم ونصر بمعنى نظف ونقي من الرجس والدنس والمراد نظافة ساحة
عنهم عن لوث الآثام وان ابتلوا بمعاشرة الأنام فالوصف للمبالغة كرجل عدل
او جمع طهر ككتف بمعنى الطاهر كما يشهد بذلك ربنا الاجل في آية التطهير باتفاق
الخاص والعام من غير نكير واجرآء حكمها في ساير الائمة غير اهل الكسا من اجل
النصوص الواردة وما دل على العصمة والطهارة ويمكن تاييد المقام ايضا
بالاجماع المركب فان كل من قال من الامة بعصمة من نزلت الاية في شانهم قال
بعصمة الائمة من ذريتهم ومن لا فلا فبعد اثبات الاول ثبت المدعى والسادات
جمع السادة وهي جمع سيد واصله الواو يقال ساد قومه يسودهم سيادة وسودا
فاقهم شرفا وملك امرهم برياسته عليهم فهو سيد من سادة قاله في طراز اللغة
وقال هو من السواد بمعنى الجماعة الكثيرة لانه قد يسمى سيدا حتى يكون رئيسا
على جم غفير وسوده قومه تسويدا جعلوه سيدا وسيد العبد مولاه و
المرءة بعلها لانهما يملكان امرهما انتهى ملخصا والبراء ماخوذا من براءة من
العيب بالتشديد جعله بريئا منه ونحن براء بالفتح والمد لا يثنى ولا يجمع
ولا يؤنث لانه في الاصل كصدد وكسماع وفي الحديث شراركم الباغون للبراء

العنت هما مفعولان للباغين اي الطالبون للسالمين من عيب ان يعيبوهم
غلتا وعنادا وفي معناه شراركم المبتغون للبراء المعايب ذكره في طراز اللغة
فالمعنى انهم سادات البرآء عن المعايب فيدل على فضلهم على جميع الانبياء و
المرسلين حتى اولوا العزم منهم ويدل عليه آية انفسنا مع ضرورة فضله
على جميع الخلق فمن هو بمنزلة نفسه يفضل عليهم بمقتضاه وهو علي عليه السلام
بالاجماع والخبر المستفيض ويخلف عنه اولاده الاطيبون خلفا عن سلف
فضائل الحق الخلافة وان كان ع افضل منهم بالنص الصريح من قوله ص وابوهما
خير منهما مع انهما عليهما السلام سيدا شباب اهل الجنة بالنص المتواتر ومنه
يعلم فضلهم على جميع الخلايق حتى الارواح والملائكة وهذا هو المذهب المنصور
وقد ورد في بيانه اخبار غير محصور ومن ذلك ما ورد في قصة موسى ع اعلم
من الخضر ع وقال الصادق ع لو كنت بين موسى ع وخضر ع لاخبرتهما اني اعلم منهما و
انبائهما بما ليس في ايديهما لان موسى وخضرا اعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم
ما يكون وما هو كائن حتى يقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله ص وراثة
وقد تواتر بين الامة حديث نزول عيسى ع وصلوته خلف القائم المهدي من آله ع

وفي حديث عبد الله بن الوليد عن الصادق ع انه قال ما يقول الناس في اولوا
العزم وصاحبكم امير المؤمنين قال قلت ما يقدمون على اولوا العزم منكم
احدا قال فقال ابو عبد الله ع ان الله تبارك وتعالى قال لموسى ع وَكَتَبْنَا لَهُ فِي
الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ولم يقل من كل شيء وقال لعيسى ع وَلِأُبَيِّنَ
لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ولم يقل كل شيء وقال لصاحبكم امير المؤمنين ع
قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ وقال عز وجل
وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وعلم هذا الكتاب عنده وصحاب
جمع صاحب مثل جائع وجياع والمراد بها هيهنا من وافق في الطريق فانه الحقيق باسم
الرفيق ولكن المصطلح في الصحابي كل مسلم اقر بالشهادتين ولقي النبي صلعم ولو ساعة
وان لم يدخل الايمان في قلبه واليه يرشد ما في مواضع عديدة من صحيح البخاري
ومسلم وكذا الترمذي والنسائي والمصابيح والمشكوة كما نقله بعض الثقات من قوله
عليه السلام في حق جماعة يذادون عن الحوض اصيحابي اصيحابي وما في معناه وقد ورد
في المنافقين منهم وارتدادهم بعد المستثنى منهم ما ورد مع اطلاق الاسم عليهم وقيد
بعضهم بعد ذلك بتحقق روايته عنه ص التقية وجمهور الاصوليين خصوا بمن طالت

صحبته

صحبته اياه ص ومجالسته معه ولقد كانوا عند وفاته ص على ما قيل مائة الف واربعة
عشر الفا وما امن منهم الا قليل وضل الكثير عن السبيل والتقييد بقوله عندهم
خير مقال لخروج المارقين والقاسطين والناكثين وجميع الناصبين المبغضين
والضالين المضلين الذين نبذوا وصية الله ووصية نبيه الكريم وراء ظهورهم
فاعمى الله ابصارهم وخذلهم في ظهورهم فضلوا واضلوا فذاقوا وبال اعمالهم ونتائج
اوهامهم في اعمارهم فالمراد بخير المقال كلمة التوحيد حيث ورد عنه صلى الله عليه
وآله انه قال وما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا اله الا الله فانها تامة الفائدة
وعامة العائدة للدنيا والاخرة ولصراحتها في الحصر وتوحيد المعبود الحق ونفي
ما عداه المطلق ولاشتمالها على الاسماء الحسنى على اجلها واجمعها الجمع الكلام واختصا
ص وفيها فيه وامكان التكلم بها حيث لا يطلع عليها احد لعدم الشفوية منها
فلا يبعد عن الرياء وقد جعل بعض اهل المعرفة تركيبها من الحروف الخمسة العشر لفظا
وكتبا اشارة الى ابواب الجنة الثمانية وسبعة ابواب الجحيم حيث تفتح بها لقائلها
الاول ويغلق عنه الاخر والحرف الاول مع الاخير تركب منها كلمة له فله الملك
وله الخلق والامر ولها تاثير غريب في تصفية السر ونفي الوساوس الهيان

القلب في الهواجس فلذا اختارها العارفون وداوم عليها الناسكون بل هي اول
البغية وآخر الدرك ومنها يحيى من حيّ ويهلك من هلك ولذا ورد انها خير العبادة و
الصالح وفي البيت بشارة لان مخالفي ولي الله ليسوا من اهل التوحيد حقيقة كما اشار
اليه علي الرضا عليه السلام حيث قال بعد قوله لا اله الا الله دخل الجنة ثم قال بشروطها و
شروطها وانا من شروطها والمراد بخير المقال خصوص الاقرار بالولاية فانها من سر
عرض الامانة ومنها يكون كمال الدين واتمام النعمة فالاذعان بذلك المقال من
افضل الاعمال كما ورد فيما رواه الصدوق رحمه الله ان خير العمل الولاية وفي خبر
آخر خير العمل بر فاطمة وولدها عليهم السلام وهؤلاء الاصحاب كما ترون لهذا الباب
والقائلون بلب الالباب هم الذين قد اصيبوا بمصائب اهل البيت وحزنوا لحزنهم وعدا
لانواعها النفس كل صعب في السلوك واشمأزت لذلك صحبة الملوك وقلدوا رؤسهم
في المصابرة على مضض الايام وتجرعوا الغصص من الانام فبذلوا لهم اموالهم وفدوا فيهم
مهجهم واوداجهم آخذين دينهم منهم وعنهم فانهم ادرى بما فيه وكل ما بيده الا فيه ولذا
ينبغي لمن اصبح لم يذخر ليوم الحساب ونجعهم بالاخلاص خوفا من العقاب ان يتسع لفقره
الجلباب ولا يخرج عن الحد بتساهل الايالة فجعل بابه فان الدنيا كسراب بقيعة للطلاب.

او جيفة

او جيفة يطلبها الكلاب كل ما فيها يفنى والآخرة خير وابقى ومن عاندهم فهو
المبتلى بالجحيم واللظى وكانت النار له المولى وورد ان النبي ص وآله الاطهار ثم كونوا
الاخيار ممن لو اذم الايمان على الاجمال والتفصيل عند الابرار حسب ما فصلته اسنا
التحصيل وساق اليه مشاعر التبجيل وقد نص الرضا ع في حديث شرايع الدين باستقامة
جماعة منهم على النبيين ولوذم وولايتهم بعد ولا بامير المؤمنين كسلمان الفارسي وابي ذر
الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وخزيمة الثابت ذو الشهادتين وجابر بن
عبد الله الانصاري وابي الهيثم بن التيهان وابي ايوب الانصاري وحذيفة ابن
اليمان وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وعبادة بن الصامت وابي سعيد الخدري
وامثالهم واضرابهم وكذا الولاية لاتباعهم واشياعهم والمهتدين بهديهم السالكين
باحسان بعدهم منهاجهم رضوان الله تعالى ورحمته عليهم اجمعين واما ما ورد
في الاستثناء الاربعة او الثلثة الاول من ارتداد الصحابة بالاختصاص فمحمول على عروض
سبب انحراف لعلهم في اول الوهلة وان استقاموا بتوفيق الله تعالى بعد على الطريقة وتمسكوا
بالملة القويمة كما ورد التصريح بذلك في بعض الاخبار المروية مثل ما رواه الكشي
عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن ابي بكر الحضرمي قال قال ابو جعفر عليه السلام

ارتد الناس الا ثلثة نفر سلمان وابوذر والمقداد فقلت لعمار فقال كان
خاص خصيته ثم رجع ثم قال ان اردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقد
الحديث علامع ماقد وقع ورد في شان عمار وما ورد ومن ذلك عمار مع
الحق والحق مع عمار حيث كان عمار جلدة بين عيني وانه تقتله الفئة
الباغية والله ولي الاولى والاخرة وانما حذف العاطف في الآل
واتى به في الصحاب تنبيها برفعة شانهم وتعريفا لجلالهم وجالهم لنسبة
اتصالهم بالنبي في وسع سائر الاصحاب وان كانوا امنوا ولي الالباب
الواصلون الى لب اللباب والود والوداد مثلثة الحب والمودة اسم
والود ايضا المحب ويثلث كالوديد وكثير الحب ففيه اشارة الى اظهار
شكر المنعم فيما انعم من النعيم بالقلب للتسليم واتمامهم ذلك بالاعراض
عن اضدادهم والبراء من اندادهم فان ولاء الاعداء لم يتداخل قط
قلوب الاوداء فلذا صاروا في حسن حال بل احسن الاحوال للزومها
لمكارم الخصال وشرائف الاحوال فان المودة الخالصة مثمرة لتاخي
النفس الفاخرة عن اقتراح سيئة خاسرة فلذا صاروا في الاولى اهتابا
بها افنى معرضا عما سوى فهم دائما في جنة الرضوان فلا اشتاق

اليهم

اليهم الجنان ما لم يحيطوا باعمالهم الرحمن ولم يشكوا غرلهم كالتي مثل الله تعالى
تعالى بها في القرآن والله العاصم من الخسران والعدوان

بكلامٍ فتكلم بعد ذا ... الجدال والمراء فابتدا
للنبيِّ الطهرِ سلِّم وللآلِ ... خذ بقلبٍ سالمٍ في ذا المنالِ
انما التوحيد في علمِ الرسولِ ... هو رئيس الكلِّ ذر عنك الفضولِ
وباخلاصٍ خلاصٍ فاعلمن ... ناجٍ عن كلِّ اثمٍ باليقن
اجره من عند ربٍّ بالدليلِ ... هو احسانٌ جزاه سلسبيلُ
بشروطٍ وبشرطٍ في الاثر ... اعتقاد الحقِّ في الاثني عشر

قد تعورف بعد التشرف في الشروع بالتسمية والتحميد والصلوة على النبي
والآل قبل الشروع بالمطلوب على مقتضى الحال توسيط اما بعد وقد
يسمونه فصل الخطاب على ما نص به الفيروزآبادي والسيد الاوحد في
طراز اللغة لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا لله كالحمد والصلوة اقتداء
بجناب سيد المرسلين فيما كان ياتيه في خطبه للمؤمنين وكذا سيد الوصيين
واختلف في اول من تكلم بها فقيل انه صلى الله عليه وآله مبدؤها وقيل داود

وقيل قس بن ساعدة وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان ولا اهتمام
بتحقيقها في هذا الشأن وقد يؤتى بدون اما خصوصا عند مراعات السجع
والوزن كما هيهنا وهي من الظروف الزمانية ويحذف كثيرا منه المضاف اليه
وينوى معناه واشير اليه هيهنا بالاسم لاشادة مراعاة للوزن ومزيدا
للبيان عند المحاورة وعرفوا الكلام بانه علم بامور تقتدر به على اثبات العقايد
الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه والمراد بالامور المسائل المودعة فيه وقد يحذف
الامور عن التعريف ويراد بالعلم الملكة الحاصلة عن ممارسة المسائل كما اشار
اليه في المقاصد وقيل انه العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من ادلتها
اليقينية وانما سمي بهذا الاسم من اجل هذا الكلام فيه اسبق من الكلام في غيره
فكان احق به ولظهور قوة النطق وصفة القوة المميزة به فيقتدر على التكلم
في ساير العلوم لتوقفه على مبادي ساير العلوم فالباحث عنه كالباحث عن غيره
ولانه من جملة علوم العارفين بملكوت السموات والارضين بالمشاهدة
المبين والاحاطة المستبين فعلمهم اولى بهذا الاسم من غيره وقيل ان المتقدمين
من اهله كانوا يعنونون فصول مباحثهم بلفظ كلام كلام فيقولون كلام في

القدرة

القدرة وكلام في العلم الى غير ذلك فلما كثر هذا اللفظ في بحثهم سمي به وقيل
ان اول مسئلة وقع البحث هو مسئلة الكلام ثم ضموا اليها ساير مباحث
الصفات والافعال فلذا سمي به ومن هو اشرف العلوم موضوعا وهو
الوجود المطلق عند المحققين وغاية وهي معرفة الله رب العالمين ورسله
واوليائه وما يصير النفس اليه وتنجوا به في يوم الدين وبه يصير المرء صالحا
لخطاب الله داخلا تحت بلائه وادلة لقطعيتها وكذا مسائلها وهي القضايا المختصة
به التي يطلب برهانها فيه وبذلك العلم يحصل الرغبة والرهبة فيحصل سعادة
الدنيا والاخرة وبه يتوقف العلوم الدينية ومنه يحصل المعارف اليقينية
ومن زل قدمه فيه يخرج عن الاعتبار ويلحق بالكفار في دار البوار وهو
من مزيد الفضل غير قابل للنسخ في شريعة من الشرايع ولا في دين من الاديان
ولا في آن من الاوان واثر فيضه باق ما دامت الحيوة من الممات لثمرة النجاة
فالمثل فليرغب الراغبون واليه فليفد الوافدون ثم اعلم ان موضوعه
وانه الوجود فاعلم انه ينقسم الى قديم ومحدث فالمحدث اما جوهر او عرض
والجوهر الحيوان ونبات وجماد والعرض لمشروطها والبحث عن القديم

انما يقع عن تفرده و نفي تكثره وتميزه عن غيره في ذاته وصفاته وافعاله
وان العالم بمعنى ما سواه من فيض فضله وارسال الرسل وانزال الكتب
من آثار حكمته وظهور المعجزات بايديهم اجل لطفه فيستعين العقل بما قالوه
في الله واليوم الآخر مما يعجز عنه ولا يحكم بامتناعه اللب الصريح فيهتدي
النفس بما دعوا ويرتضي كل ما اتوا ويتعبد بالامتثال ويرتقي الى اوج الكمال
ويصل على قدر استحقاق الحال الى ساحة قرب ذي الجلال فيستعد بعد
مفارقة عالم الزور والخلاص من دار الغرور لما فاز به من مصاحبة محاسن
الاعمال ومرضي الخصال والله الموفق في كل حال وان اردت تبيين مبدأ
ظهور هذا العلم وتربيته وتهذيبه فاعلم انه لما كانت الاحكام الشرعية
منها ما يتعلق بالاعمال الفرعية المسمى في المشهور بالفقه مع اسبابه المسمى
باصوله ومنها ما يتعلق بالاصول الاعتقادية المسمى بالكلام تارة والتوحيد
اخرى وكان الاوائل ببركة صحبة النبي صلعم والاستنارة بنوره غير محتاجين الى
مراجعة الكتب والرسائل وترتيب المقدمات لتحصيل الفضائل والجلائل وبعد
مضيه صلعم واشتباه الامر لاختلاف الآراء والاهواء وشيوع البدع والضلا

والغوا

واعراض الاكثر عن اهل بيت النبوة ومشكوة الولاية صار رواحا بين بابين ولبعض
عن الطريقة المستقيمة مست حاجتهم الى قوانين وقواعد مستنبطة عن اصول
السنة السنية والقواعد العقلية فوضعوا لذلك اصولا وابوابا وفصولا و
ضموا اليها شيئا من علوم الفلاسفة الطبيعية والالهية وغيرهما مما تقتضيه
حالهم ويصل اليه فالهم وكانت الفرقة الناجية آبين عن المراجعة الى غير ما خصه
لهم ائمتهم ومن خصهم منهم فانهم عليهم السلام لعلمهم بحقيقة بلياتهم وعرفانهم كلما
تبينها لهم ربما منعوا جماعة وحثوا آخرين ونفوا الذين عمن يقع ثم يطير وامنعوا عمن
لا يستطيع القيام بعدما وقع ويزل قدمه ويتورط في الشبكة ويعلمون
اصحابهم بالجدال الكيفية ترتيب المقال مع ارباب الجدل ليحقوا الحق ويزهقوا الباطل
كيلا يشتبه الشبهات باذهانهم ولا يزلوا ابتداء بل يمحوها في بالهم ويدعون ربهم
لهم بتاييد روح القدس اياهم ولعل امثالهم من جملة العلل لاختلاف ما روي عنهم
عليهم السلام في باب الكلام واما سائر العلماء لم يراجع الحجج عليهم السلام ولم يذعن
في الصغير والكبير غالبا لهم فيبقى فيما انتج في عمره لنفسه حتى جاء مهلكه بحتف انفه
فرخى في ايا طل يا يحق فيما وجد اليه السبيل وساق نظره وظنه من الدلايل والتمهيد

الى سواء السبيل واشار بقوله الجدال والمراء الى انه ليس من طريق اهل الله الذين يعرفون
الحق بالحق لا لطرح السؤال والجواب من غير بذل الانصاف واتعاب النفس في الرد
والاعتساف اذ تمكن الجدال والمراء في النفس لا يلائم الا كاجواكها او لا يثمر الا انسان
الا بوارا ولنعم ما قال لصدر المحققين ان منزلة المراء بين ذمائم الخصال على منال
الخمر في مساوي الافعال فانها ام الخبائث ومنها ينمو الكثير من الرذائل والخبائث
نعم قد يكون الجدال ممدوحا وهو الجدال بالاحسن الذي امر به الرب الاعظم
رسوله الاكرم وهو اخذ الخصم بالمسلمات والمشهورات لا بالمشاغبات و
المغالطات او لتمويهات السوفسطائيات كما ان درجة الموعظة القاء الخطا
بيات ويذكر ما يستحسن عند العقول من العادات لتسكين الخصم اللدود
وتهييجا لرفع اعتراضه من الجحود والحكمة الموصى بها في دعوة الحقة اخذ
الخصم بالبراهين القائمة والحجج الساطعة المفيدة لليقين في العاقبة وال
المراتب الثلثة قد اشار سبحانه بقوله ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ والى القسم الاول ونفي الاشارة
في قوله ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ والاخبار في نفيه في معنى

النهي

النهي كما في اخويه والتعبير به اشد مبالغة من النهي الصريح فكان المنهي قد وقع في
الواقع ويخبر عنه وتخصيص الحج غير مخصص لظهور كونه لمزيد الاهتمام بتنزيه
المقام منه عن غيره والفرق بين المراء والجدال على ما قيل ان المراء طعن في كلام
الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزيد الكياسة
والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها ومنها الخصومة
وهي اللجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وتكون تارة ابتداء وتارة
اعتراضا كالجدال والمراء لا يكون الا اعتراض على سبق والكل مذموم الا ما فيه نية
صادقة كما سبق ونية بالتسليم في سلوك الطريق الى ان دخول سبيل الله انما يكون
بالرفق والتؤدة لا بالفتنة والشنعة فانها من ابتغاء الفتنة ومن توحش
عن صعوبة الطريق فلا بد له في السلوك من مرشد كامل هو بالاسوة حقيق
ومن احق واولى بذلك من الذي بالمؤمنين رؤف رحيم واله الطاهرين
الصادقين في الذكر الحكيم ثم يحصل لنفسه رفيقا شفيقا ليكونا من اخوان
الصفا ويلاقي كل اخاه بالوفا فان ذلك احياء للدين وسرور لسيد المرسلين
والمؤمن مرآة المؤمن ولا مثله ينبغي ان يطمئن ولا يطلب شيئا بالكلام الغلبة
واظهار الفضل والفضيلة فانه يصير منشأ للعمى والذلة والرق وليس شيء منها

مما يناسب طالب العقبى ولا يعض الحق ولا ينقضه بل يرجع اليه ويخفضه ولو كان
على خلاف هواه ويزهق الباطل ويدمغه ولو كان وفقا لما يتمناه وفي هذا
المعنى قد تطابق العقل والنقل واتفق عليه الشارع والاديان في كل زمان و
اوان من غير نسخ ولا تخصيص بآن دون آن وبفرد دون فرد من افراد
الانسان وبه قد وصى الالهيون والحكماء والمتألهون والاولياء الاتقياء
حتى ورد في الاخبار دع المراء ولو كنت محقا وان من تركه وهو محق بني له
بيت في اعلى الجنة ومن تركه وهو باطل بني له بيت فيما دونه ولصعوبة الامر
واعضاله يجب للطالب الاديب ان يتوسل بالنبي وآله عليهم السلام اذ بهم يصل
المهتدي الى قرب الحبيب ومنهم يتضح السبيل الرغيب ومن اجلهم ينجي القلوب
والجلالة شانهم بسبيل الخالقون الضالون وبوساطتهم يصل الفيض الى ذرات
العالم من بدو الامر الى آدم وتمام بني آدم والخوض لغوص في البحر والمراد
به تعمق النظر في المسائل والدلائل وعدم القناعة بمحض تقليد الاسلاف
والاوائل مع عدم الاشتغال بكثرة القيل والقال المتممة لتشويش البال وتضييع
ما يجب لاصطلاح الحال ولهذا قال العلامة الشيرازي من عادة المتأخرين
ان يجعلوا الحقائق المعلومة مجهولة لكثرة ما لزمتهم من الاقوال والمراد

بالقلب

بالقلب لسالم النفس المزكاة بالتخلية عن رذائل الخصال والتحلية بحلى مكارم
الخلال اقتباسا ممن وصف خلقه عظيم من جناب قدس جليل كريم حتى يحصل
في مملكة البدن آثار العدالة وينتظم بها اموره ويسهل مستصعبه ومعسوره
وتفاصيل جنود العقل والجهل وعلامات غلبتها وكيفية العلاج والاستعلاج عن
اهل بيت العصمة والطهارة مأثورة من طريق العقل فآثار الحكماء الالهيين
مشهورة وفي كتب الاخلاق مسطورة وفي سعادة النفس في الدارين وخلاصها
عن الوبال في النشأتين ومما رسته ذلك على قدر الحاجة من فرض العين وهو
في الفضيلة بعد علم التوحيد ثاني اثنين فانه لا شك فيه ولا نزاع عند علماء
كل فريق بلا امراء وقد اطلق طائفة من ذوي البصائر في فضائله الصحف
والدفاتر وادرك شأنه عقول العقلاء من الاوائل والاواخر وقال سيد
الموحدين امير المؤمنين عليه السلام في جملة وصيته لابنه الحسن ع واعلم يا بني ان
احب ما انت آخذ به من وصيتي اليك تقوى الله والاقتصار على ما فرض
عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من اهل ملتك
فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم
الآخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل

ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك لذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات و
علوّ الخصومات وابداء قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالهك عليه والرغبة
اليه في التوفيق ونبذ كل شائبة ادخلت عليك كل شبهة واسلمتك الى ضلالة
فان انت ايقنت ان قد صفا لك قلبك فخشع وتم قلبك واجتمع وكان همك في
ذلك هما واحدا فانظر فيما اشرت لك وان انت لم يجتمع لك رايك على ما تحب
من فراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط خبط العشواء وليس طالب الدين
من خبط ولا من خلط وان الامساك عند ذلك امثل ثم قال بعد تمثيل الدنيا ثم قرر
يعطي الدنيا بانواع الجهالات لئلا تعتد نفسك عالما فان العالم من عرف ان ما
يعلم فيما لا يعلم قليل فعد نفسه بذلك جاهلا وازداد بما عرف من ذلك في طلب
العلم اجتهادا فما يزال للعلم طالبا وفيه راغبا وله مستفيدا ولاهله خاشعا
ولرايه متهما وللصمت لازما وللخطاء حاذرا ومنه مستحيا وان ورد عليه
ما لا يعرف لم ينكر ذلك لما قد قرر به نفسه من الجهالة وان الجاهل من عد نفسه
لما جهل من معرفة العلم عالما وبرايه مكتفيا فما يزال للعلماء مباعدا وعليهم زاريا
ولمن خالفه مخطئا ولما لم يعرف من الامور مضللا واذا ورد عليه من الامور
ما لا يعلمه انكره وكذب به وقال بجهالته ما اعرف هذا وما اراه كان وما اظن

ان يكون

ان يكون واني كان ولا اعرف وذلك لثقته برايه وقلة معرفته بجهالته
فما ينفك بما يرى فيما يلتبس عليه رايه وفيما لا يعرف للجهل مستفيدا وللحق
منكرا وفي اللجاجة متحيرا وعن طلب العلم مستكبرا وقال عليه السلام في بعض خطبه في نظرائها
فانظر ايها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته
وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلعم وائمة الهدى
عليهم السلام اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان
الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار
بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم
يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على
ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين وذكر المعلم
الثاني في ترجمة رسالة زينون الكبير عن ارسطاطاليس عن افلاطون عن سقراط
انه قال ينبغي لمن يتكلم بتعلم الحكمة ان يكون شابا فارغ البال غير ملتفت الى الدنيا
صحيح المزاج محبا للعلم بحيث لا يختار غير العلم شيئا من اسباب الدنيا ويكون
صدوقا لا يتكلم بغير الصدوق ويكون محبا للانصاف بالطبع لا بتكلف ويكون
صدوقا وامينا متدينا عاملا بالاعمال الدينية والوظايف الشرعية غير مخل بواجب

منها فمن اخل بواجب من واجبات نبي من الانبياء ثم ادعى الحكمة فهو من اهل
من ان يهجر ويترك ويحرم على نفسه ما كان حراما في ملة نبيه ويوافق الجمهور
في الرسوم والعادات التي يستعملها اهل زمانه ولا يكون فظا سيء الخلق فان الحكمة
تنافي سوء الخلق ويرحم على من دونه في الرتبة ويحترم لمن فوقه في الرتبة او مثله
ولا يكون اكولا ولا متهتكا ولا خائفا من الموت ولا مجتمعا للمال الا بقدر الحاجة
فان ما ورث بعد الموت ما يحتاج اليه في حال البقاء اكيس من ان يصير نفسه
مشغولة في حال الحيوة بما لا يحتاج اليه فان الاشتغال بطلب اسباب المعاش
مانع عن العلم ثم قال ولا يستنكف من التعلم فان سقراط كان كثيرا ما يستفيد
من تلامذته وافلاطون كذلك وارسطاطاليس كذلك قال العلم كنز مدفون
يفوز به من سهل الله طريقه اليه فكما انك لا تستنكف من ان تستقرض من غلامك
وممن دونك في الرتبة وممن فوقك او مثلك لتصلح به اسباب المعاش فانك احوج
الى امور المعاد ونظامها وتدع الوقيعة في الناس فان اردت لتهذيبهم فهذبهم
بنصائح غير مؤلمة وان خالطهم ببدنه وخالفهم بسره ويحفظ لسانه وقول الخير
والصدق ويعين الاخوان بما يفضل منه فمن فعل ذلك فهو حكيم حقيقي متمتع
بالحكمة واسرارها ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم مبهرج زور مثل المكار

يطلب ما لذهب فاذا فارقته نفسه يبقى في حيرة وبلاء نعوذ بالله من عذاب
الاخرة وعن زيد البلخي من حكماء الاسلام انه قال الشريعة الفلسفة الكبرى
ولا يكون الرجل متفلسفا حتى يكون متعبدا مواظبا على اداء اوامر الشرع و
قال ابو علي بن مسكويه في كتاب طهارة النفس اذا كان النفس خيرية فاضلة
تحث على نيل الفضائل وتحرض على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية و
المعارف الصحيحة فيجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله
ولا يانس بغيره ولا يجالس سواه ويحذر كل الحذر من معاشرة اهل الشر
والنقص والمجاهرين باصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش والمفتخرين بها
المنهمكين فيها ولا يصغي الى اخبارهم مستطيبا ولا يروي اشعارهم مستحسنا
ولا يحضر في مجالسهم مبتهجا وذلك ان حضور مجلس واحد من مجالسهم
وسماع خبر واحد من اخبارهم ورواية بيت واحد من اشعارهم يعلق من
قذره ووسخه بالنفس ما لا يغسل عنه الا بالزمان الطويل والعلاجات
الصعبة وربما كان سببا لفساد العالم والمستبصر فضلا عن المتعلم المسترشد
وقال بعض اهل التحقيق اعلم ان الحكمة ام الفضائل ومعرفتها مبعدة
عن الرذائل وموصلة الى اقل الاوائل ويلزم من صفات شريفة احدها الفنا

تنور النفس بالنور الالهي الازلي حتى يطلع نورها وضياؤها فيشرق على
جميع المجهولات العلمية فيمتلئ علما وحكمة ونورا فلا يخفى عليه
شيء من المجهولات وثانيتها انها تزهد في هذا العالم وتحقره عند النفس
وثالثها انها ترغب في الرحلة عن هذا العالم الى ذلك العالم ورابعها انها
تعرفها ما علة هذا العالم وما معلوله وما المتوسط بين العلة و
المعلول فالعلة الدائمة هو الباري تعالى والمعلول الجسم وما يتعلق
به من الجسمانيات والمتوسط بينهما النفس فاذا ادركنا المتوسط ادركنا
الطرفين ويحصل به معرفة الجانبين واهل الحكمة خواص الله واصفيائه
واحباب الرب واوليائه وهم خلاصة الوجود وصفوة الموجودات
حصولها من تعليم الرب تعالى كما اشار اليه في محكم كتابه ونوه برفعة
شانه بجليل بيانه وقوله وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وقال صدر المحققين
في فواتح اسفاره وابدء يا حبيبي بتزكية نفسك عن هواها فَقَدْ أَفْلَحَ
مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا واستحكم اولا اساس المعرفة
الحكمة ثم ارق ذريها والا كنت ممن اتى الله بنيانهم من القواعد

فخر

فخر عليهم السقف فاياك ان تشتغل بترهات عوام الصوفية من الجهلة ولا تركن
الى اقاويل المتفلسفة جملة فانها فتنة مضلة وللاقدام عن جادة الصواب مزلة
وهم الذين اذا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤون وقانا الله واياك شر هاتين الطائفتين ولا جمع بيننا
وبينهم طرفة عين انتهى كلامه رحمه الله وقال المحقق المجلي اعلم ان الحكيم الفاضل
لا يلتفت الا الى محض الحق والى ما قيل لا الى من قال وما احسن ما قال امير المؤمنين
عليه السلام لا تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف اهله ففي كل مسئلة
ينظر الى كلام القائلين فيها وياخذ زبدة ما قالوه ويترك زبده ويضيفه الى ما
حصله بفكره ونظره بعقله ويعتقد بذلك التقرب الى الله الباري
له ولمن سواه جل جلاله ثم قال والقبول للحكمة والعلوم العقلية شروط اولها
المزاج وحسن الاخلاق وسرعة الفهم وجودة الحدس والذوق الكشفي وان
يكون في القلب نور من انوار الله تعالى يتقد دائما كالقنديل المعلق وذلك
هو المرشد الى الحكمة والعلوم العقلية الدقيقة كالمصباح ومن لم يكن
فيه هذه الشرائط فلا يتعب في طلب هذه العلوم فانه لا يصل الى غايتها وان
كان يشتغل بشيء من اطرافها بحسب ما اوتي من الشروط والله الهادي انتهى كلامه

رحمه الله والغرض من ذكر امثاله في طي المباحث ظهور تطابق العقل و
النقل في حفظ مراسم الشريعة وصيانة الطريقة القويمة والتوحيد تنزيه الله
عن الحدث على ما قاله في الطراز وقيل اسقاط الاضافات فلذا قيل في معنى
ما ورد في ادعية المأثورة لك يا الهي وحدانية العدد ان المراد نفي
التعدد والتكثر والاختلاف عن الصفات المتعددة والمتكثرة والمختلفة
بحسب الاعتبارات والمفهومات وان ذلك لا يقتضي اختلافا في الجهات
والحيثيات في ذاته سبحانه لانها بحسب الوجود ليست وراء الذات الاحدية
فهو الكل في وحدته ولعل الى مثله الاشارة في كلام امير الموحدين و
يعسوب الدين عليه الصلوة والثناء في بعض خطبه الغراء كمال التوحيد نفي
الصفات عنه والشائع في علم التوحيد اطلاقه على ما يشمل جميع الاعتقاديات
في الذات والصفات والافعال تسمية باشهر اجزائه واشرفها وهو المراد
ههنا وقال الراغب معنى التوحيد توصيف الله بالواحد الذي لا يصح عليه
التجزي ولا التكثر ولصعوبة هذه الوحدة قال الله تبارك وتعالى واذا ذكر
الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ومراتب العلم
بالتوحيد على مقدار المعرفة والانقطاع عما سواه والعمل في كل حال بارضاء

حتى

حتى يصل الى حد لا يخطر بباله غير ذكر مولاه وهذا امر عسر جدا والقرار عليه
اعز من الكبريت الاحمر كما سيعلم مما ذكره خير البشر ولكن كل ما في حوصلة الامكان
وفي وقع الممكن اعطاه جل جلاله النور المحمدي والنور الاحمدي فلمناسبة علم
التوحيد بعالم حقيقة نفسه المقدسة عن الرجس المحلى بغاية القرب في الفناء
وكسوة البقاء وجبت لجنابه رياسة الكل بالخلافة الحقيقية عن الله سبحانه
على كل المكونات في الازل وان كان في عالم الظاهر ظهوره الحلقة في آخر السلسلة
وختمت به النبوة فانه البغية في الاول والدلالة في الآخر وهو الغاية لايجاد العالم
في الباطن والظاهر والعلوم المنتشرة على تشتتها وكثرتها فحقيقة ما تفرع منها منه
مصدرها واليه مرجعها وهو المبعوث بجوامع الكلم الحاوي لاطراف العلم
والعلم الجامع للحكمة الربانية والاخلاق الرضية المرضية فينبغي الالتجاء الى
بابه والانقطاع الى جنابه وان يعرض على علمه كل ما في البال فما وافقه اذعن عليه
وما خالفه طرحه فلا ضير عليه فلله المنة والفضل وما سواه الفضول و في
التأسي لساحة عزه بنيان قواعد العقول فليس فيما سواه الا الفضول و
العلم على ما قاله الراغب في مفرداته هو ادراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان
احدهما ادراك ذات الشيء والثاني الحكم للشيء بوجود شيء هو موجود له او نفي شيء

هو منفي عنه فالاول يتعدى الى مفعول واحد نحو قوله تعالى لا تعلمونهم الله
يعلمهم والثاني الى مفعولين نحو قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات والعلم
من وجه ضربان نظري وعملي فالنظري ما اذا علم فقد كمل نحو العلم
بموجودات العالم والعملي ما لا يتم الا بان يعمل به كالعلم بالعبادات ومن وجه
اخر عقلي وسمعي وقوله بالاخلاص يحتمل حذف المضاف اي بكلمة الاخلاص و
هو الاخذ بالكلمة الطيبة من قول لا اله الا الله وحصول الاخلاص بها معلوم
في الدنيا والعقبى الملازم لاخلاص النية وخلوص الطوية في تحصيل الكمال وطي
طريقة معرفة ذي الجلال ويكون الاتيان بالكلمة الطيبة خارجا لقائلها عند تحقق
شرايطها عن كل اثم وظهور الثمرة علامة تحقق الشروط كما نبه به صادق
اهل البيت بقوله من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة واخلاصه
ان يحجزه لا اله الا الله عما حرم الله عز وجل ويحتمل ان يراد به الملكة الرضية
من الخصال المرضية التي قد اشار اليها في الكتاب وياس من صاحبه ابليس في
كل باب واشار بقوله اجره من عند ربه الخ الى ما ورد عن سيد الاولياء عليه
الصلوة والثناء في قول الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان انه
قال سمعت رسول الله ص يقول ان الله عز وجل قال ما جزاء من انعمت عليه بالتوحيد

الا الجنة

الا الجنة وقد ورد في بعض الاخبار ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
والمآل الواحد اذ الموحد الحقيقي قد درج مدارج الايمان ووصل الى مراتب
الايمان والايقان بدرجة يتجلى على واعلى من الرؤية فانها قد يقع الغلط
فيها ولا غلط في العقل الصريح فانه اوفق النصيح وقوله جزاؤه سلسبيل من باب
ذكر الجزء وارادة الكل والمراد به تمام طيبات الجنة كما ورد عنه ع انه قال
من مات وهو يعلم ان الله حق دخل الجنة وان الكلمة الطيبة ثمن الجنة وانها
حصن الله الذي من دخله امن العذاب ونال الصواب وقال الرضا عليه السلام
في حديث ذكره ان الله جل جلاله يقول لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني
امن عذابي فلما مرت الراحلة التي ركبها نادى بشروطها وانا من شروطها فالا
قرار بامامتهم من شرط قبول التوحيد فانه من تمام شرع الرسول وكمال
القول المقبول ولولاه لم يبلغ التبليغ مبلغه ولم تونع الشجرة الثمرة وحكم
اولهم كحكم اخرهم ومنكر واحد منهم كمنكر جميعهم فكما ان انكار الرسالة غير
ناجع وان اقر بالتوحيد فكذا الحال في الولاية بعد الرسالة فانها مثلها وان
عاند الناصب العنيد يا اله الحق صنا واهدنا الى
يا اله الحق صنا واهدنا بصراط مستقيم ديننا

قم بسمع طاعةٍ ثم استقم ... ويفكرٍ بعد ذكرٍ قم اقم
خذ صراط الامنين الصالحين ... ذكّرن النفس ذكر الفالحين
واستعذ بالله عن كيد العدا ... وتوكل يا فتى كلّ في الله

لما كان الاذعان الواصل الى مقام الاطمينان والاستقامة بمقتضى الايمان عسيرا
جدا مع تساويل الشيطان وشبهات اعداء الرحمن توسل بساحة القدس في
مقام الانقطاع واستدعى من ساحة عزه ان يشمله بالطاف الخاصة ويوصله
الى الطريقة المستقيمة من جناب الله هي احد من السيف وادق من الشعر
وان يثبت قدمه عليها في الدنيا حتى يثبت على ظهرها في الاخرة والمرء
ما دام مبتلى بهذه الحيوة الدنيا ما له من خلاص عن الوسواس الخناس ومن
اشرار الناس الى يوم ليس فيه مناص فان القلب دائما في التلون والانقلاب
فلا بد له بعد تحصيل نية الاخلاص لادلة اكتساب الخيرات في كل باب فلا جرم
ينبغي للسالك ان يقطع لنفسه سائر الوسائل الا وسيلة ارضاء الحبيب
وادبا علمه الحكيم الرقيب في فاتحة كتابه العزيز من الاستعانة باسمائه الحسنى
واشتغال النفس بالحمد والثناء ثم استدعاء موهبة الولاء والبراء عن العدا
ومزاحل صعوبة الكون على الاستقامة قال سيد البشر بل فخر كل من فطر من تلك

الدرجة

الدرجة العليا والرتبة القصوى التي ليس لاحد سواه في الاخرة والاولى شيبتني
سورة هود لوقوع الامر فيها بقوله سبحانه فاستقم كما امرت عصمنا
الله وايّاكم من زلل الاقدام في كل مقام وحفظنا من بضايع التكوين الغوغاء
الذين ليس لهم الا الضوضاء فهم مع ابناء الدنيا فوضى وان ظنوا انفسهم
انهم يفوزون فوزا وبعد التوسل والاستدعاء خاطب نفسه في مقام النصح
بالقيام وبالامر بعد فرغ السمع بالطوع والرغبة والاستقامة على الطريقة بقيد الحكمة
والجهد بقدر البلغة والمنة بعد الفكر الذي ساعة خير من عبادة سنة او اوله سنه
بالصائب منه واقامة المعوج من خصاله وسائر من بقية امره وان يعتزل عن هوى
النفس واستبداد الراى فان الاطمينان اليه من بخس الحظ وثمر الندم حين لا ينفعه
الندم فاذا لم يصل الى لثم عتبة المولى ومشاهدة جمالهم العالية فلا لزوم عليه ان
يحفظها وصل اليه من طريق اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وهم الصالحين الذين قد اصلحوا انفسهم في الظاهر والباطن ولما كان لتذكر
عاقبة امرهم وفلاحهم وحسن حالهم مدخل عظيم في ترغيب النفس الى الاقتداء بهم و
السلوك الى القوى في هداياتهم حث النفس الى ذكرهم وعدم الغفلة عما وصلوا اليه
من منتهاهم في اولاهم واخريهم مما فيه رضا مولاهم فقد رضي عنهم وارضاهم قدس الله

الاستضائة بنورهم والدخول في جودهم في دار سرورهم انه لمن توجه اليه قريب
وللدعاء مجيب والناظر في البقية والشاهد لاسرار الحكمة يعلم ان معرفة الغاية و
تحصيل السعادة وان لا يضيع البضاعة بالافراط والتفريط ولا يجالس كل عنيد
عنيد السلم من تابعي شيطان مريد والاجتناب القدس مفزع كل منيب فينبغي
ان يكل الامر اليه ويتوكل عليه وليستعيذ به من كل عدو مبين من الجن والانس
اجمعين كما يفيده اللام في العدا، فانه للاستغراق وهو مفيد للعموم بالاتفاق

واستعن من لطف رب العالمين ... من حسيني منتمي بالحسين
ابن من قد سمي باسم الخليل ... كان في فضل برآء في السبيل
نظم برهان بذاك سمه ... سمط ايمان فخض في يمه
يا الهي فاغفرن زلاتنا ... لا تغير عادة عاداتنا
روح قلبي فاضع ما للتبصره ... في ظهور السطر خذنا بالمسطره
عرف ربي ليس في وسع الطلب ... لكن التنبيه مما قد وهب

وبعد الفراغ من التوسل والدعاء والحث الى متابعة من اهتدى حرض
المسترشد الى الاستضاءة بما قاله بعض الكمل من اهل المعرفة والحجى فانهم قد
بذلوا الجهد منهم في اعلاء الكلمة العليا وخلصوا سبل النجاة من الشكوك والشبه

العلما

العلما الذين لهم قدم راسخ في الدين وعليهم عهدة ارباب اليقين وكان
من اجلهم قدرا واعظمهم حظا واوسعهم صدرا افضل المتاخرين ولسان
المتقدمين محي مراسم الائمة الطاهرين ومخرب جنود الابالسة والشياطين
الذي ارتوى بشرب الرحيق من زلال التوفيق ووصل في المعارف الالهية
الى الحق الحقيق وافرغ بفضله وسبقه كل حبيب وحيد نصير الملة والدين
محمد بن محمد بن الحسن الملقب بخواجه نصير الدين الطوسي قدس الله سره
القدوسي وقد شهد علامة المشتهر في الآفاق آية الله في العالمين بالاتفاق
بانه لم يلق مثله في الاخلاق وتلمذ عليه برهة من الزمان واستفاد من لآلي فوائده
ما ينتجه بنان البيان ولقد بالغ الفاضل المحقق الحلي وصاحب المقامات
العلية والكرامات البهية الجلية احمد بن فهد الحلي في المهذب بالثنا
في مدحه واكثر من هذه المنظومة من بركات انفاسه وعوائده مما اودعه
من فرائد فوائده في تجريد عقائده واشار بقوله في ظهور السطر الى ما ذهب
اليه جل اهل العرفان وكل اهل الايمان من ان معرفة الله فطرية كما ارشد
اليه عز من قائل بقوله فطرت الله التي فطر الناس عليها وبقوله واذا
مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وورد في لسان نبيه صلع

كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال
جمال المحققين في تعليقات المختصر الظاهر ان اصل معرفة وجود موجد
العالم فطرية لكل احد بلا احتياج الى برهان ولا منكر له بالقلب
والجنان بل لو كان فبمجرد اللسان ثم بعد ذلك لعل شهادة الذوق
والوجدان بوجوب كونه واجبا ومخالفا بالذات لما يرى من الممكنات
يغني عن اقامة الدليل والبرهان وقال المحقق الاحساوي ره اثبات الوحدانية
وانكارها اهم المطالب وكذلك وجوب وجوده الا ان العلم بوجوده
لشهادة الفطرة الاصلية وهو مما يكاد يكفي فيه التنبيه فحسب كما هو داب
الانبيا والرسل والمتالهين من اولياء الحكماء قدست ارواحهم اجمعين
انتهى كلامه ره وقد مثل السيد الجليل والحبر النبيل ابن طاوس الحلي
لهذا المقام في كتاب كشف المحجة فقال انما مثلهم مع المتعلم عنهم ومثالهم معهم
كمثل انسان كان بين يديه شمعة مضيئة اضاءت اضاءة باهرة فاخذها
استاده من بين يديه وابعدها عنه مسافة بعيدة كثيرة الحوايل والموانع
من نظره في تلك الشمعة التي كانت حاضرة وقال له تجهز للسفر بالزاد
والرفقاء والعدة والادلاء حتى تصل الى معرفة تلك الشمعة وتنظر حقيقة

ما هي

ما هي عليه من الضياء فبقي ذلك المغتر المتصرف في ذلك الاستاد المتكلف وسافر
مدة من الاوقات فتارة يرى جبالا وعقبات فلا يظهر له من حديث الشمعة
كثير ولا قليل وتارة يرى ضوءا فيقول ولعله ضوء تلك الشمعة وليستنجد
بمساعدة الرفيق والدليل فيعجز عن تمام المسافة وقطع الطريق بما يرى فيها
من العقبات والتطويل والتضييق وملك المسكين المغتر ورجع خاسرا
للدنيا والدين وارتبك هذا المسترشد ولحقه مشقة الاسفار وركوب
الاخطار وسلم ان يعجز في الطريق ويترك الشمعة بالكلية كلما يحصل له مثل
الذي كان يعرفه في الفطرة الاولية وضاع عمره وتعبه في زيادة معرفتها
وقد بسط المقال واطنب بمقتضى الحال في هذا المنال ونقل المحقق المجلسي ره في
شرح الفقيه ان السيد صنف كتابا ذكر فيه مائتين وعشرين برهانا في ان
المعرفة فطرية ثم استشهد لذلك بالتجربة ولعمري ان سلك من مقامات اهل
البحث لتيه مما اشتهر من الطرائق من مزاولة العلاج الاعمى البرهنة بعد
اخذه الحنث ولكن ينبغي ان نعلم ان هذا الباب انما هو لذوي الفطرة
المستقيمة الذين لم يخرجوا عن الطريقة القويمة ولم يلحقهم ظلمة الشكوك و
الشبه واما من اعتراه الخلل وتبلبل اقوال المبتلين بالمراء والجدل وارتبط في

بعد الفتن فلا بد له من ضابط يتيسر له المخرج عن افواههم بالوجه الحسن كيلا
يحيروا في بلادهم ولا يغرقوا في غمار بوادرهم ويمثل هذا ينحل اخذه والاخبار
في الكف عن الكلام والحث عليه في المقام يرشد ما افاده المحقق الطوسي قدس
الله سره في مقالته المنسوبة اليه وبتلك النسبة اشار المحقق الاردبيلي ره
كما صرح به القاضي السعيد الشهيد في مجالس المومنين نقلا عنه قال رحمه الله وفقا
لبعض السلف ان ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمته قول لا اله الا الله
ومحمد رسول الله ص ثم اذا صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله
تعالى واليوم الآخر وتعيين الامام المعصوم وكل ذلك بما يشتمل عليه القرآن
من غير مزيد برهان اما بالآخرة فبالايمان بالجنة والنار والحساب
وغيره واما في صفات الله تعالى فبانه حي قادر مريد عالم كاره متكلم ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير العليم وليس عليه بحث عن حقيقة هذه
الصفات وان الكلام والعالم حادث او قديم بل لو لم يخطر له حقيقة
هذه المسئلة حتى مات مات مومنا وليس عليه بحث عن تعلم الادلة التي
حررها المتكلمون بل متى خطر في قلبه التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير
دليل وبرهان فهو مومن ولم يكلف رسول الله ص العرب اكثر من ذلك وعلى

هذا

هذا الاعتقاد المجمل استمر اعراب العرب وعوام الخلق الا من وقع في بلدة تقرع
سمعه هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول
وغيره فان لم يأخذ ذلك بقلبه وبقي مشغولا بعبادته وعمله فلا حرج عليه
وان اخذ ذلك بقلبه فاقل الواجب عليه ما اعتقده السلف يعتقد في القرآن
الحدوث كما قال السلف القرآن كلام الله مخلوق ويعتقد ان الاستواء حق و
الايمان به واجب والسؤال عنه مع الاستغناء عنه بدعة والكيفية مجهولة
ويؤمن بجميع ما جاء به الشرع ايمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية و
ان لم يعتقد ذلك وغلب على قلبه الاشكال والشك فان امكن ازالة شكه
واشكاله بكلام قريب من الافهام ازيل وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا
فذلك كاف ولا حاجة بتحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة
لا يؤمن الا ان يتشبث بالخاطر والقلب فيضل فهمه عن ذكر جوابها اذ الشبهة
قد يكون جلية والجواب عنها دقيقا لا يحتمله عقله ولهذا زجر السلف عن
البحث والتفتيش وعن الكلام فيه وانما زجر السلف عن البحث والتفتيش
وعن الكلام فيه وانما زجروا عنه ضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم
الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان

عن شاطئ الدجلة خوفا من الغرق ورخصة للاقوياء فيها تضاهي رخصة الماهر
في صنعة السباحة الا ان فيها موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل
ضعيف في عقله راج من الله في كمال عقله وناظر نفسه ان يقدر بالقصور
عن ادراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في
بحار الجهالات من حيث لا يشعرون فالصواب منع الخلق كلهم الا الشواذ الذين
لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين ومن تجاوز سلوك مسلك السلف
في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله تعالى واخبر به
رسول الله ص من غير بحث ولا تفتيش الا الاشتغال بالتفتيش فيه فقد اوقع
نفسه في شغل شاغل اذ قال رسول الله ص حيث راى اصحابه يخوضون بعد
ان غضب حتى احمرت وجنتاه افبهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه
ببعض انظروا الى ما ذا امركم الله فافعلوا وما نهيكم عنه فانتهوا فهذا
تنبيه على منهج الحق واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب قواعد العقائد فليطلب
منه والحمد لله رب العالمين الى هيهنا كلامه ره المنقول عنه بعينه وقال
شيخ الطائفة المحقة في عدة الاصول الصحيح الذي اعتقده ان المقلد للحق
وان كان مخطئا في الاصل معفو عنه ولا احكم فيها بحكم الفساق ثم قال

بل لا

بل لا يمتنع ان يكونوا عالمين بالدليل على سبيل الجملة كما يقول جماعة اهل العدل
في كثير من اهل الاسواق والعامة ليس من حيث يتعذر عليهم ايراد الحجج في
ذلك ينبغي ان يكونوا غير عالمين فان ايراد الحجج والمناظرة صناعة وليس يقف
حصول المعرفة على حصولها انتهى كلامه ره وفي حديث ابي حمزة عن ابي جعفر ع
انه قال انما يعبد الله من يعرف الله فاما من لا يعرف الله فانما يعبده هكذا ضلالا
قلت جعلت فداك فما معرفة الله قال تصديق الله عز وجل وتصديق
رسول الله ص وموالاة علي ع والايتمام به وبائمة الهدى عليهم السلام والبراءة
الى الله عز وجل من عدوهم هكذا يعرف الله عز وجل وقال صدر المحققين في شرحه
فاما قوله ع تصديق الله عز وجل الى آخره ففيه وجهان خاصي وعامي اما
الوجه الخاصي في المعرفة وهو ان يصدق بوجوده ثم تصديقا يقينيا
حاصلا بالبرهان ويصدق بوحدته وواحديته وعلمه وقدرته و
حكمته وسائر صفاته الكمالية وانها غير زائدة على ذاته سبحانه وان ذاته
بذاته منشأ افعاله المحكمة في غاية الجودة والنظام والتمام فلا بد ان يكون
بينه تعالى وبين خلقه وسائط في الايجاد وهم الملائكة المقربون المقدسون
ومن ولاهم المدبرون من الملائكة وسائط في التكميل والارشاد وهم الانبياء

المكرمون ومن يخلفهم من الاولياء الهادين وبالجملة فالملائكة ومن
والاهم وسايط في الخلق والبداية والانبياء ومن ضاهاهم وسايط في
الامر والاعادة فاهل الخصوص يعرفون اولا ذات الله ثم ومن ذاته
صفاته ومن صفاته افعاله على الترتيب الاشرف فالاشرف في جانبي النزول منه
عنه والعود اليه والمعرفة على هذا الوجه هو الايمان الحقيقي كما قال الله
تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فاذا
عرفوه وعرفوا رسله وانبيائه واوليائه كذلك فلا جرم اجابوا خاتم الرسل و
اوصيائه عليه وعليهم السلام واطاعوهم ووالوا اولياءهم وعادوا اعداءهم
وتبرءوا براءة شديدة منهم الى الله في الدنيا والاخرة وحشروا مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك واما الوجه العامي
فاول ما يجب الاعتقاد به على البالغ المكلف هو ترجمة ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا رسوله المبعوث الى كافة الخلق اجمعين وينبغي
ان يصدق في صفات الله واليوم الاخر على قدر عقله ومبلغ فهمه وان
يتيقن بوجود الامام المعصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في
كل زمان وان يعرف الائمة الاثنى عشر عليهم على التفصيل واحدا بعد

واحد

واحد الى القائم المهدي عليهم السلام ويحبهم بقلبه ولسانه ويوالي اولياءهم ويتبرأ
من اعدائهم وكل ذلك تشتمل عليه القران والحديث من غير مزيد برهان اما
في صفات الله فلا يجب عليه فوق انه حي عالم قادر مريد كاره متكلم ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات
وان الكلام قديم او حادث واما في الاخرة فبالايمان بالبعث والحشر والثواب
والعقاب والجنة والنار وليس عليه بحث عن تحرير الادلة التي حررها المتكلمون
بل متى خطر في قلبه التصديق بما هو الحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان
فهو من حزب المؤمنين ولم يكلف رسول الله العرب اكثر من هذا وعلى هذا الاعتقاد
المجمل استمر الاعراب وعوام الخلق ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش
عن ذات الله وصفاته والكلام فيها وانما زجروا عنه الضعفاء والعوام
واما الائمة المهذبون والعلماء الكاملون فلهم الخوض في غمرة الاشكالات والتبحر
في لجج العلوم الغامرة ومنع العوام من الكلام يجري مجرى منع الصبيان
السباحة عن شاطئ خوف الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر
في صنعة الا ان هنا موضع غرور ومزلة اقدام اذ كثير من الناس يزعم
بنفسه انه من الاقوياء وليس كذلك واما الاقوياء فربما يخوضون وربما يغرقون

في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون فلا والله منع الخلق كلهم الا الشواذ
الذي لا يسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين ومن تجاوز عن النازلين
او المتوسطين سلوك مسلك السلف الذين كانوا في عهد النبي ص وعهد امير
المؤمنين ع وما يقرب منه قبل ظهور البدع والمقاييس وصنعة الكلام بالايمان
المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله وامر به رسوله ص من غير بحث وتفتيش
فقد ركب متن الخطر واوقع نفسه في شغل شاغل كان الغالب فيه الهلاك
وسوء العاقبة الا من عصمه الله اذ قال رسول الله ص حيث راى اصحابه
يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه افبهذا امرتم تضربون
كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امركم الله فافعلوا وما نهيكم عنه
فانتهوا فهذا تنبيه على منهج الحق وشرع الدين المبين بعامة المسلمين امنا
من الزيغ والضلالة وسد طريق الوسواس والجهالة انتهى من كلامه
رحمه الله موضع الحاجة وقال الشيخ المدقق الشيخ ابرهيم بن شيخ
سليمان القطيفي ان اقل ما يجب من المعرفة لمن نشا بين المسلمين قريب
ان يكون فطريا واذ قد حصل لنا الاطلاع على بعض كلمات فحول العلماء
فاعلم انه قد اختلفوا بعد الاتفاق على وجوب معرفة الله سبحانه وما يجب على

عامة

عامة المكلفين من معرفة اصول الدين في القدر الواجب منها وكيفيتها
فالمشهور بين المتكلمين وجوب ذلك المعرفة بالدليل وعدم كفاية محض
التقليد وبه صرح العلامة في طائفة من كتبه وقال في جواب بعض المسائل لا
يصح التقليد ولا يحكم في ايمانه بالعقليات نعم من قصرت قوته المميزة عن ادراك
اليقين بالادلة وقليل اهل الحق فهو مستضعف يرجى له النجاة في الاخرة
انتهى وتبعه الشهيد في الالفية الفوائح وكذا شيخنا المقداد وغيرهم
حتى ان الشهيد الثاني في كتاب حقايق الايمان ادعى على ذلك اجماع العلماء
الا من شذ كعبد الله بن الحسن العنبري والحشوية والتعليمية حيث
ذهبوا الى جواز التقليد في الاصول وقد بالغ جماعة في هذا الباب حتى الحقوا من
يحصل له المعرفة كذلك بالكفار وان كان في زمن مهلة النظر وبعضهم ادعى ذلك
لهم في الآخرة دون الاولى فاجرى عليهم في الدنيا احكام الاسلام والمسلمين وجماعة
من المحققين ومنهم من تقدمت كلماتهم على كفاية التقليد الراسخ بحيث لم يختلجه
شبهة اصلا واطمانت النفس بما اعتقده اذا كان مطابقا للواقع وممن
صرح بذلك المحقق الاردبيلي ره في تضاعيف شرحه على الارشاد وقال في
كتاب الشهادة المراد بالايمان اعتقاد مذهب الامامية الاثني عشرية من غير

الشيعة لا غير والظاهر انه يحصل بمعرفة الله ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وتصديقه
في جميع ما جاء به من الاحكام وغيرها مثل الموت وعذاب القبر والحشر
والنار والثواب والعقاب والصراط والميزان وغير ذلك من نبوة جميع
الانبياء والكتب السالفة وانه لا نبي بعده وبامامة الائمة الاثني عشر كل
واحد واحد وان آخرهم قائمهم من وقت موت ابيه وامامته حتى يظهره الله
تعالى وانه امام الزمان حتى تفنى الدنيا وينتهي التكليف كل ذلك كفى اجمالا
بطريق العلم اليقيني الذي لا يحتمل نقيضه وان لم يكن برهانيا وهو ظاهر
وما ذكره يحسن الآن ما ذكره في امتداد امامة امام الثاني عشر الى
انقراض الدنيا ينافيه ما ورد في اخبار كثيرة مستفيضة في رجعة الائمة ومن
الحسين عليه السلام بعده وممن سلك مسلكهم الفاضل العارف مولانا محسن
القاساني وغيره رحمهم الله ثم وفصل الشيخ المحقق الشيخ ابرهيم الا
حساوي في شرح الالفية الشهيدية فقال انا نجمع بين القولين بان نقول
الدليل واجب على الاعيان والتقليد كاف في الايمان فيكون الاستدلال
كسائر الواجبات التي لا يلزم من الاخلال بها الكفر فحكم بفسق تارك الاستدلال مع تمكنه
منه وعدم تحقق العدالة في احد منهم وان صلح عباداته لاخلاله بشرطها الا انه

الظاهر

الظاهر انما فهم على عدم وجوب رد الشبهة والتعرض لابطال المذاهب السخيفة
على الاعيان وبه صرح المحقق الطوسي وغيره وان قيل بوجوب ذلك على الكفاية
لمن له قريحة سالمة وطبيعة نقادة والتحقيق الذي هو بالقبول حقيق ان يقال يتحقق
اقل الايمان بالتقليد المحض في الاصول اذا كان مقلدا لاهل الحق باطمينان النفس
بحيث لا يتخلجه ريب ولا شك ويترتب عليه صحة عباداته واعماله وجميع احكام الاسلام
من الطهارة والمناكحة والموارثة والذباحة وغيرها بل قبول الشهادة بعد تحقق
ساير شرائط العدالة لما تقدم من التنبيهات وما هو المستعلم من دعوة الشارع
في بدو الامر عامة النساء والعوام وعلى خلافه لزوم العسر والحرج المنفيين
بالعقل والنقل والا اقل من ان يكون مستضعفا من اهل الاعراف على مقتضى
بعض التفاسير وانكاره مقتضى الاحتياط ان لا يكتفي الانسان بذلك ولا يرضى
لنفسه بالحظ الاوكس والنصيب الابخس فان فيض الرحمن انما نزل بقدر العروق
ومثوبات الاعمال انما تقدر بدرجات الايقان في الايمان ويأخذ لما يسمع
من الاصول دليلا وان كان مجملا بحيث تطمئن نفسه به وتسكن قلبه اليه
وان لم يقدر على تفاصيل ترتيب المقدمات ولم يتفطن لها لاخذ النتيجة عنها
وذلك كدليل الاعرابي حيث قال البعرة تدل على البعير واثر الاقدام المسير

ذات ابراج وارض ذات مهاد دلالة الا على صانع خبير بصير ودليل العجوز
مشهور وسياتى التنبيه عليه ان شاء الله تعالى وان كان قريحته صافية و
طبيعته ثانية ونيته الفرصة واشتغل بالمزيد وازدياد المعرفة كان اولى
الى ان ترقى الى الاقتدار على اقامة البراهين الساطعة لرفع ظلمات الشبهات
وان لم يكن له ذلك الاستعداد ولم يساعده التوفيق نشرع بعد تحصيل
الواجب باصلاح ملكات النفس الذى هو فرض واجب على الاعيان با
لتخلية عن مساوى الخلال والتحلى بمحاسن الخصال ثم بالاعمال الصالحة
والفرائض اللازمة التى قد علم تفاصيلها باجمعها ممن طهرهم الشريعة القويمة
اخذا كل ذلك عن اهله ويستعمله فى محله وان بلغ مرتبة الاستنباط
من الكتاب والسنة وفى كل باب ونحو ماسوى بالاتفاق ومنه الفقه
يعضده العقل والنقل الظاهرين للمتتبع الماهر الذى له نظر ثاقب فى الامور
ولا يكتفى بالمسموع والمسطور والاطناب زائدا على ما ذكر ليس من مقتضيات
الباب ومن عند رب الارباب ابقاء فصل الخطاب ولا باس بعد ذلك بان
يقع الاشارة الى نبذ مما ورد فى هذا الباب من احاديث سادات اولى الالباب
الذين عندهم حقيقة علم السنة والكتاب ففى كتاب العقل من الكافى عن الصادق ع

انه كان

انه كان يقول العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة
السير الا بعدا وفى حديث اخر عنه عليه السلام انه قال لا يقبل الله عملا
الا بمعرفة وقال ع الناس ثلثة عالم ومتعلم وغثاء ويؤيد كفاية اطمينان
النفس فيما يجب من العقايد ما ورد فى تلقين المحتضر من التهذيب فى
رواية ابى بكر الحضرمى انه قال مرض رجل من اهل بيتى فاتيته عائدا له
فقلت له يا ابن اخى ان لك عندى نصيحة اتقبلها فقال نعم فقلت قل اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فشهد بذلك فقلت قل وان
محمدا رسول الله فشهد بذلك فقلت ان هذا لا تنتفع به الا ان يكون
منك على يقين فذكر انه منه على يقين فقلت قل اشهد ان عليا وصيه
وهو الخليفة من بعده والامام المفترض الطاعة من بعده فشهد بذلك
فقلت له انك لن تنتفع بذلك حتى يكون منك على يقين فذكر انه منه
على يقين ثم سميت له الائمة رجلا فرجلا فاقر بذلك وذكر انه على يقين
فلم يلبث الرجل ان توفى فجزع اهله عليه جزعا شديدا قال فغبت
عنهم ثم اتيتهم بعد ذلك فرايت عزاء حسنا فقلت كيف تجدونكم كيف
عزاءك ايتها المرءة فقالت والله لقد اصبنا بمصيبة عظيمة بموت

فلان ره وكان مما سخى بنفسي له الرؤيا رايتها الليلة فقلت وما تلك الرؤيا
قالت رايت فلانا يعني الميت حيا سليما فقلت فلانا قال نعم فقلت له الم تكن
ميتا فقال بلى ولكن نجوت بكلمات لقنتنيهن ابو بكر ولولا ذلك كدت اهلك
وكذا في حكاية احتضار عكرمة وقول الباقر ع لو ادركت عكرمة
عند الموت لنفعته قيل لابي عبد الله عليه السلام بما ذا كان ينفعه
قال كان تلقينه ما انتم عليه فلم يدركه ابو جعفر ع ولم ينفعه فان
الظاهر انه في ذلك الوقت لضيق لا يمكنه بسط الادلة وذكر تفاصيلها
وليس في وسعه تدقيق النظر وتنقيبه فيها ويؤيده ايضا ما رواه ثقة
الاسلام في باب ما اعطى الله عز وجل آدم وقت التوبة عن محمد بن يحيى
عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن معوية بن وهب قال خرجنا
الى مكة ومعنا شيخ متأله متعبد لا يعرف هذا الامر يتم الصلوة
في الطريق ومعه ابن اخ له مسلم فمرض الشيخ فقلت لابن اخيه لو عرضت
هذا الامر على عمك لعل الله ان يخلصه فقال كلهم دعوا الشيخ حتى
يموت على حالة فانه حسن الهيئة فلم يصبر ابن اخيه حتى قال له يا عم ان
الناس ارتدوا بعد رسول الله ص وكان لعلي ابن ابي طالب عليه السلام من ا

الطاعة ما كان لرسول الله ص وكان بعد رسول الله ص الحق والطاعة له قال
فتنفس الشيخ وشهق وقال انا على هذا وخرجت نفسه فدخلنا على ابي عبد
الله ع فعرض علي بن السري انه لم يعرف شيئا من هذا غير ساعة تلك قال
فريدون منه ماذا قد دخل والله الجنة ويؤيده ايضا ما رواه الشيخ في
الحديث السابع والثلثين من الجزء الخامس عشر من اماليه مسندا عن جابر
عن ابي جعفر عليه السلام قال كان غلام من اليهود ياتي النبي ص كثيرا حتى استخفه
وربما ارسله في حاجة وربما كتب له الكتاب الى قوم فافتقده اياما فسأل
عنه فقال له قائل تركته في آخر يوم من ايام الدنيا فاتاه النبي ص في ناس من اصحابه
وكان له ع بركة لا يكاد يكلم احدا الا اجابه فقال يا فلان ففتح
عينه وقال لبيك يا ابا القاسم قال قل اشهد ان لا اله الا الله واني
رسول الله فنظر الغلام الى ابيه فلم يقل له شيئا ثم ناداه رسول الله ص ثانية
فقال له مثل قوله الاول فالتفت الغلام الى ابيه وقال ان شئت قلت وان
شئت فلا فقال الغلام اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ص ومات
مكانه فقال ص لابيه اخرج عنا ثم قال ع لاصحابه اغسلوه وكفنوه وائتوني به
صلى عليه ثم خرج وهو يقول الحمد لله الذي انجى بي اليوم من النار وقوله

وقوله عم امرت ان قاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وقول الصادق ع
الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس من شهادة ان لا اله الا الله و
ان محمدا رسول الله ص واقام الصلوة وايتاء الزكوة وحج البيت وصيام
شهر رمضان فهذا الاسلام وقال الايمان معرفة هذا الامر مع هذا
فان اقر بها ولم يعرف هذا الامر كان مسلما ضالا وظاهر ان المراد الاقرار
بها وعدم انكارها للاتفاق على ان تارك الفروع غير خارج عن ظاهر الاسلام
وفي حديث آخر عنه انه قال الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والتصديق
برسول الله ص به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة
الناس وفي حديث آخر الاسلام ما ظهر من قول او فعل وهو الذي عليه جماعة
الناس من الفرق كلها وبه حقنت الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح
واجتمعوا على الصلوة والزكوة والصوم والحج فخرجوا بذلك من الكفر و
اضيفوا الى الايمان وفي حديث آخر عن رسول الله ص انه قال من استقبل
قبلتنا وصلى صلوتنا واكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا وفي حديث حفص
الكناسي قال قلت لابي عبد الله ع ما ادنى ما يكون به العبد مؤمنا قال يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ويقر بالطاعة

ويعرف

ويعرف امام زمانه فاذا فعل ذلك فهو مؤمن وفي حديث ابي بصير عن الصادق
عليه السلام حيث سئل عن الاسلام فجمعه في كلمتين فقال من شهد شهادتنا
ونسك نسكنا وذبح ذبيحتنا وفي حديث هاشم صاحب البريد قال كنت انا
ومحمد بن مسلم وابو الخطاب مجتمعين فقال لنا ابو الخطاب ما تقولون فيمن
لم يعرف هذا الامر فقلت من لم يعرف هذا الامر فهو كافر فقال ابو الخطاب
ليس بكافر حتى تقوم عليه الحجة فاذا قامت عليه الحجة فلم يعرف فهو كافر فقال
له محمد بن مسلم سبحان الله ما له اذا لم يعرف ولم يجحد يكفر ليس بكافر اذا
لم يجحد قال فلما حججت دخلت على ابي عبد الله ع فاخبرته بذلك فقال انك
حضرت وغابا ولكن موعدكم الليلة الجمرة الوسطى بمنى فلما كانت الليلة اجتمعنا
عنده وابو الخطاب ومحمد بن مسلم فتناول وسادة فوضعها في صدره ثم
قال اليس يصلون ويصومون ويحجون قلت بلى قال اليس يعرفون عليه قلت
لا قال فما هم عندكم قلت من لم يعرف هذا الامر فهو كافر قال سبحان الله
اما رايت اهل الطريق واهل المياه قلت بلى قال اليس يصلون ويصومون
ويحجون اليس يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قلت
بلى قال فيعرفون ما انتم عليه قلت لا قال فما هم عندكم قلت من لم يعرف هذا

الامر فهو كافر فقال سبحان الله اما رايت الكعبة والطواف واهل اليمن
وتعلقهم باستار الكعبة قلت بلى قال فيعرفون ما انتم عليه قلت لا
قال فما تقولون فيهم قلت من لم يعرف هذا الامر فهو كافر فقال سبحان الله
هذا قول الخوارج ثم قال ان شئتم اخبرتكم فقال انا لا فقال اما انه شر
عليكم ان تقولوا بشئ ما لم تسمعوه منا قال فظننت انه يديرنا على قول محمد
ابن مسلم وفي رواية عمر بن ابان قال سئلت ابا عبد الله ع عن المستضعفين
فقال هم اهل الولاية فقلت اي ولاية فقال اما انها ليست بالولاية في الدين
لكنها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة وهم ليسوا بالمؤمنين و
لا بالكفار ومنهم المرجون لامر الله وفي خطبة لامير المؤمنين عليه السلام
بعد ما اشتكى عن اعمال بعض المترفين من استقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا
وامن بنبينا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا اجرينا عليه حكم القرآن
وحدود الاسلام وعن العباس بن يزيد عن ابي عبد الله ع قال قلت
له ان هؤلاء العوام يزعمون ان الشرك اخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء
على المسح الاسود فقال لا يكون العبد مشركا حتى يصلي لغير الله او يذبح
لغير الله ويدعو لغير الله وفي رواية الصباح بن سيابة عن ابي عبد الله ع

قال

قال ان الرجل ليحبكم وما يدري ما تقولون فيدخله الله الجنة وان الرجل ليبغضكم
وما يدري ما تقولون فيدخله الله النار الحديث وفي رواية حفص ابن البختري عن
ابي عبد الله ع قال ان الرجل ليحبكم وما يعرف ما انتم عليه فيدخله الجنة بحبكم وان
الرجل ليبغضكم وما يعرف ما انتم عليه فيدخله النار ببغضكم وفي رواية حمران قال
سئلت ابا عبد الله ع عن قول الله عز وجل الا المستضعفين قال هم اهل الولاية
قلت واي ولاية فقال اما انها ليست في الدين ولكنها الولاية في المناكحة والموارثة
والمخالطة وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفار وهم المرجون لامر الله ويزيد ما ذكر
بيانا ما رواه ثقة الاسلام عن اسمعيل الجعفي عن ابي جعفر ع في حديث قال قلت
فهل سلم احد لا يعرف هذا الامر فقال لا الا المستضعفين قلت من هم قال
نساءكم واولادكم ثم قال ارايت ام ايمن فاني اشهد انها من اهل الجنة وما
كانت تعرف ما انتم عليه فان الظاهر ان ام ايمن هذه هي التي كانت في عصر
النبي ص وشهد لها بانها في الجنة وفي حديث شرايع الدين عن الصادق ع حيث
ذكر اصحاب الحدود قال والشفاعة جايزة لهم وهم المستضعفين اذا ارتضى الله
عز وجل دينهم وفي تفسير الامام الحسن العسكري ع المستضعفون من شيعة
محمد واله الذين لم يقووا بصائرهم فاما قويت بصيرته وحسنت بالولاية لاوليائه

والبرآءة من اعدائهم معرفته فذلك اخوكم في الدين امس بكم رحما من الآباء والامهات
ومما يؤيد ما ذكرنا ما رواه كامل بن ابرهيم عن صاحب الزمان ع وساق الحديث
الى ان قال يا كامل جئت الى ولي الله وحجته وبابه تسأله هل يدخل الجنة الا من
عرف معرفتك وقال بمقالتك فقلت اي والله قال اذن والله يقل داخلها والله
انه ليدخلها قوم يقال لهم الحقية قلت يا سيدي ومن هم قال قوم من حبهم لعلي
يحلفون بحقه ولا يدرون ما حقه وفضله وفي حديث عمرو بن حريث عن
ابي عبد الله ع قال دخلت وهو في منزل اخيه فقلت جعلت فداك الا اقص
عليك ديني الذي ادين به قال بلى يا عمرو قلت اني ادين الله بشهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم شهر رمضان
وحج البيت من استطاع اليه سبيلا والولاية لعلي ابن ابي طالب امير المؤمنين
عليه السلام بعد رسول الله والولاية للحسن والحسين والولاية لعلي بن
الحسين والولاية لمحمد بن علي من بعده وانتم ائمتي عليه احيا وعليه اموت
وادين الله به قال يا عمرو هذا والله ديني ودين آبائي الذي ندين الله
به في السر والعلانية فاتق الله وكف لسانك الا من خير الحديث وفي حديث

آخر

آخر عن ابي جعفر ع انه قال لرجل سأل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا ص عبده ورسوله والاقرار بما جاء من عند الله والولاية لنا اهل
البيت والبرآءة من اعدائنا والتسليم لنا والتواضع والطمأنينة وانتظار
امرنا فان لنا دولة ان شاء الله جاء بها وفي حديث عبد العظيم الحسني انه قال
دخلت على سيدي علي بن محمد ع فلما ابصرني قال لي مرحبا بك يا ابا القاسم انت ولينا
حقا قال فقلت له يا ابن رسول الله اني اريد ان اعرض عليك ديني فان كان
مرضيا اثبت عليه حتى القى الله عز وجل فقال هات يا ابا القاسم فقلت اني
اقول ان الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء خارج من الحدين حد الابطال و
حد التشبيه وانه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر بل هو مجسم الاجسام
ومصور الصور وخالق الاعراض والجواهر ورب كل شيء ومالكه وجاعله و
محدثه وان محمدا ص عبده ورسوله خاتم النبيين فلا نبي بعده الى يوم القيمة
واقول ان الامام والخليفة وولي الامر بعده امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع ثم
ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن
جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم انت يا مولاي من بعدك الحسن
ابنه فكيف للناس بالخلف من بعده قال فقلت وكيف ذاك يا مولاي قال لانه

لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الارض قسطا وعدلا كما
ملئت جورا وظلما قال فقلت اقررت واقول ان وليهم ولي الله وعدوهم
عدو الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله واقول ان المعراج
حق والمسائلة في القبر حق وان الجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق
وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور واقول ان
الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد و
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال علي بن محمد ع يا ابا القاسم هذا
والله دين الله الذي ارتضى لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وفي حديث حمران انه قال لابي عبد الله ع اشهد
ان لا اله الا الله وحده شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا خارج من الحدين
حد التعطيل وحد التشبيه وان الحق بين القولين لا جبر ولا تفويض وان محمدا
صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون واشهد ان الجنة حق والنار حق وان
البعث لموت حق واشهد ان عليا ع حجة الله على الخلق لا يسع الناس جهله وان
حسنا ع بعده وان الحسين ع من بعده ثم علي ابن الحسين ثم محمد بن علي عليهم السلام

ثم انت يا سيدي من بعدهم فقال ابو عبد الله ع التي تو حمران وفي حديث
داود بن يوسف قال قلت لابي عبد الله ع اصف لك ديني الذي او
دين الله به فان اكن على حق فثبتني وان اكن على غير الحق فردني الى الحق قال
هات قال قلت اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا ص عبده
ورسوله وان عليا ع امامي وان الحسن ع كان امامي وان الحسين ع كان
امامي وان علي بن الحسين ع كان امامي وان محمد بن علي ع كان امامي وانت
جعلت فداك على منهاج آبائك قال فقال عند ذلك مرارا رحمك الله ثم قال
هذا والله دين الله ودين ملائكته ودين آبائي الذي لا يقبل الله غيره وفي
حديث الحسن بن زياد عن ابي عبد الله ع قال قلت اني اريد ان اعرض عليك
ديني وان كنت في حسبنا ممن قد فرغ من هذا قال فاته قال قلت اني اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا ص عبده ورسوله واقر بما جاء
به من عند الله فقال لي مثل ما قلت وان عليا صلوات الله عليه امامي فرض
الله طاعته من عرفه كان مؤمنا ومن جهله كان ضالا ومن رد عليه كان
كافرا ثم وصفت الائمة عليهم السلام حتى انتهيت فقال ما الذي تريد اتريد ان
اتولاك على هذا فاني اتولاك على هذا وفي كتاب صفات الشيعة للصدوق ع

عن عبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطار النيسابوري رضي الله عنه قال حدثنا
علي بن محمد بن قتيبة عن فضل بن شاذان قال قال علي بن موسى الرضا من اقر
بتوحيد الله ونفي التشبيه عنه ونزهه عما لا يليق واقر ان له الحول و
القوة والارادة والمشية والخلق والامر والقضاء والقدر وان افعال
العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين وشهد ان محمدا رسول الله صلى
الله عليه وآله وان عليا والائمة بعده حجج الله ووالى اولياءهم وعادى
اعداءهم واجتنب الكبائر واقر بالرجعة والبعث واقر بالمعراج والمسئلة
في القبر وبالحوض والشفاعة وخلق الجنة والنار والصراط والميزان والبعث
والنشور والجزاء والحساب فهو مؤمن حقا وهو من شيعتنا اهل البيت
والمؤيدات لهذا المطلب في الآثار والاخبار كثيرة فالحاصل كما تقدم ان
المستفاد من آثارهم عليهم السلام ان حصول اليقين كاف للمؤمنين وان لم
يكن صاحبه مقتدرا على رد شبهات المشككين الضالين المضلين وان تقليد
الحق ان بلغ في رسوخ الاعتقاد بحيث لا يحتمل الزوال وان كان صاحبه قاصرا
عن تحصيل زيادة المعرفة والحجة والكمال المختص بالمؤمنين في استحقاق العفو والشفاعة
وان كان ثوابهم بالاعمال الصالحة اخس درجاتهم في الجنان واحط بالنسبة الى

غيرهم

غيرهم ممن اخذ دينهم بالدلايل والحجة والتمسك بدين اهل البيت بالبرهان ووضوح
الحجة فلذا قال بعض العلماء في تفسير قوله سبحانه يرفع الله الذين آمنوا و
الذين اوتوا العلم درجات ان اسم المؤمن يصدق وان لم يكن تصديقه
عن بصيرة وكشف وقد قسم بعض العلماء الايمان على ثلث مراتب الاولى
ايمان العوام الناشي من التقليد والثانية ايمان المتكلمين الممزوج بنوع من الاستدلال
الثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ومثل لذلك بان
تصديقك بمن يخبرك ان زيدا مثلا في الدار له درجات ثلث مراتب الاولى
ان تصدق الخبر لكونه ممن جربته بالصدق والصواب ولا تتهمه بالكذب
والانحراف فيطمئن القلب به ويسكن النفس اليه وهذا من اوايل اصحاب
اليمين وقلوب مخالفي اهل الحق من اهل الخلاف والكفار وانكانت ايضا
تطمئن الى ما سمعوه من آبائهم واحبارهم ورهبانهم ورؤساء دينهم الا
اعتقدوا ما اعتقدوه خطاء والمسلمون اعتقدوا ما القي اليهم من
كلمة الحق والثانية ان تسمع كلام زيد وصوته في الدار ولكن من وراء
جدار فيكون يقينك اقوى من الاول والخطاء فيه ممكن اذ الصوت
قد يشبه الصوت وقد يمكن التكليف في الحكايات الا انه قد لا يخطر بباله

احتمال التلبيس والمحاكاة الثالثة ان ينظر في الدار اليه وهي معرفة الحقيقة
الغير المحتملة للزوال واهل كل طبقة يتفاوتون في الدرجات مثل من يرى
زيدا في الدار حين اشراق الشمس والآخر يراه من بعيد وقت العشية فيتراءى
منه ما يزيل عنه الشك وكم من درجات بين تلك المراتب لا يحصيها الا
الله سبحانه ويتفاوت درجات كل مرتبة على حسب بلوغ مرتبته وحصول
معرفته وقد ورد في تفسير قوله سبحانه نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ان
بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم اصغر حتى يكون آخرهم نورا على ابهام
قدمه فيخبوا على وجهه ويديه ورجليه ويقوم اخرى ولا يزال كذلك
حتى يخلص فلذا ورد في الآيات المنبهات الكثيرة الى الارشاد بالتفكر
بما في الآفاق والانفس من العلامات والآيات ليرجع عن الغي والضلالة
وعن العمى الى البصارة ويتدبر في كل ما راه ويعبر عنه الى ما هو الحق في آخرته
واولاه فيكون من الذاكرين الشاكرين ويشرب قلبه من ماء اليقين ويتنفر
عن طرائق الشياطين ولكن مع وضوح السبيل وامنه قد يحتاج المرء الى
اخذ السلاح وفي ظلمات الارض الى المصباح ليندفع عنه ما يرميه اعداء
الدين ولا يضل عن سلوك طريق اليقين او يعرض فكره الى محل الامتحان حذرا

من اخيار

من اخيار المساوي بالاحسان كما قال سبحانه قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا فمثل بالمسطرة اشارة الى الدلايل والعلامات الساطعة الباهرة فكما
ان بتلك الآلة يسهل اقامة السطور ويمتحن استقامة الخطوط بالجود فكذا
الحال في ملاحظة الحجج المتينة والبراهين العقلية بعد التثبت على الفطرة
الاصلية والخلقة الزوبية المرضية وقد وضع العلماء الآلة امتحان الافكار
علم الميزان ثم دونوا ما اخذوه بالبرهان وجمعوا ما وصلوا اليه بالايقان
اقتباسا من مشكوة النبوة واغترافا من بحر الولاية بقوة الفتوة واستنباطا
بالفكر الصائب والذهن الثاقب نادية لنافع الكلام بمقتضى المقام كل
ذلك اذا وافق الميزان من كلمات الامام عليه السلام وليشهد لذلك قول امير
المؤمنين في اواخر نهج البلاغة خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون في
صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر
المؤمن وقال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق

في اثبات الصانع للعالم

لو رأيت انت قصرا من مشيد فبانٍ قد تيقنت يا رشيد

كيف لم يدعن وبان حاضر   خارج عن حد فكر ناظر
وبآيات لخلق قد ظهر   في سموات وارض قد بهر
اولم يكف بربك شهيد   ضل من يدعونه غير فريد
خالق الخلق وفوق كل شيء   ناسخ شمس الوجود كل فيء
في الفيافي ما صنيع شمعة   بعد شرق الشمس ذا من سمعة
هو تمام الجود في عين الوجود   ليس قط خلو جود كالابود
الذي دل بذاته على   ذاته ثم صفاته العلى

وقال الفيروزآبادي اذعن له خضع وذل واقر واسرع في الطاعة و
انقاد كذعن كفرح وقال البهائي الاضافة كالعهود وقال في طراز اللغة
الفرد ما كان وحده وما لا ثاني له ورجل فريد منفرد ودرة فريدة
نفيسة لا ثاني لها وقال نسخ الشباب بالشيب ازاله وتعقبه وقال الفيء
كشيء ما نسخ الشمس وهو ما بعد الزوال الى المغرب والظل ما نسخته
الشمس وهو من طلوع الشمس الى الغروب او هو من الطلوع الى الزوال
والفيء من الزوال الى الغروب والمراد ان وجود نور الانوار وظهوره
سطوعه مزيل للفيء من الاصل فضلا عن الظل وقال الجوهري في فيف

الفيفاء

الفيفاء الصحراء الملساء والجمع الفيافي والسمعة بالفتح والضم ما نوه بذكره
ليراه والتسميع ايضا التشنيع والتشهير وفي الخبر من سمع الناس بعمله
سمع الله به اسامع خلقه وفي رواية اسامع خلقه واشار ببيان برهان
الان اولا وهو الاستدلال من المعلول الى العلة ومن الاثر الى المؤثر لكون
نظر الاكثرين اليه ومعولهم فيما الدال عليه على وجود الصانع تعم شانه
ردا على الدهرية المنكرين الحاصرين عالم الوجود في المحسوس بشبهة انه
لو كان لكان بمرئى من المخلوقات على خلاف السوفسطائية المنكرين
للضروريات وهم الذين قد حكى الله سبحانه عنهم مقالتهم بقوله
وما يهلكنا الا الدهر فحاصل الكلام ان الآثار الباهرة والآيات الظاهرة
في الآفاق والانفس تضطر الانسان بعد الانسلاخ عن شوائب الطبيعة
ونواميس العادة ومتابعة الآباء والاسلاف ومرافقة ارجاس الاخلاف
الى الاقرار وعدم الانكار فلذا حين هجمت عليه المصائب وسقطت على
يديه في صعاب المطالب ولم يبق له حيلة للخلاص ولا وسيلة للمناص
يرجع عن صميم قلبه الى رب الناس ويلتجئ الى جنابه من غير التباس كما نبه
سبحانه في شانهم بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه

كما تقدم عن قريب عن مولانا الصادق عليه السلام حين سئل ببديهة العقل على
وجود بانٍ لما ظهر من البناء وان كان ضعيف الاساس واهن الاساس
ويستدل بمقدار اطلاعه على سمكه وارتفاعه وانتظامه واحكامه و
حسنه وبهائه على قدرة بانيه ووفور قوته وعلمه فيما اتى به ويزداد نضوج
ظنه وخلوص رايه بمزيد ما يشاهده من الآثار في سائر الابنية في الاعصا
مع انه وامثاله ليس الا من باب نضد الاشيا وترتيب الآلات والادوات
واتساق بعضها ببعض وارتباط كل ما يليه من غير نقص فكيف لا يحكم
العقل بوجود فاطر السموات والارض من غير مزاولة العلاج ولا اضطرار
الاحتياج مع غاية الحسن والسنا والنور والضيا بغير عمد يعتمد عليه
ولا لغوب يعتريه على احسن النظام واكمل الانتظام وان انتهزته النفس
العمياء لما يعتريه من النسيان لضعف التصديق والاذعان حتى ان ورقة
لو سقطت من شجرة واخذها العارف بالله لاستنبط منها جميع ما حدث
في العالم بمنزلة الطبيب الحاذق فانه بمجرد مس نبض المريض يحكم بما قد حدث
في مملكة بدنه من الامراض وما صار به مانعا له عن الانتعاش والانتهاض
والى مثل ما ذكر وقعت الاشارة بقوله وبآيات الخلق قد ظهر فان الهو

حكمة

حكمة جل شانه في الآفاق والانفس لا يحتاج الى البيان اذ يكفيه العيان
فلذا ورد فيما نقله الصدوق في كتاب توحيده مسندا عن الصادق
عليه السلام فيما تكلم به ابن ابي العوجاء رئيس الملاحدة فقال عليه السلام له ان يكن الامر
على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون يعني اهل الطواف فقد سلموا
وعطبتم وان يكن الامر كما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم
انتم وهم فقلت له يرحمك الله واي شيء نقول واي شيء يقولون ما قولي
وقولهم الا واحدا فقال كيف يكون قولك وقولهم واحدا وهم يقولون
ان لهم معادا وثوابا وعقابا ويدينون بان للسماء الها وانها عمران وانتم
تزعمون ان السماء خراب ليس فيها احد قال فاغتنمتها منه فقلت له ما
منعه ان كان الامر كما تقول ان يظهر لخلقه ويدعوهم الى عبادته حتى
لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وارسل اليهم الرسل ولو باشرهم
بنفسه كان اقرب الى الايمان به فقال لي ويلك وكيف احتجب عنك
من اراك قدرته في نفسك نشوءك ولم تكن وكبرك بعد صغرك وقوتك
بعد ضعفك وضعفك بعد قوتك وسقمك بعد صحتك وصحتك بعد سقمك
ورضاك بعد غضبك وغضبك بعد رضاك وحزنك بعد فرحك وفرحك

بعد خوفك وحبك بعد بغضك وبغضك بعد حبك وعزمك بعد ابائك

وابائك بعد عزمك وشهوتك بعد كراهتك وكراهتك بعد شهوتك ورغبتك

بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك ورجائك بعد يأسك ويأسك بعد رجائك

وخاطرك ما لم يكن في وهمك وعزوب ما انت معتقده عن ذهنك وما زال

يعد علي قدرته التي هي في نفسي التي لا ادفعها حتى ظننت انه يطهرها فيما بيني وبينه وعن

سيد الاوصياء عليه الصلوة والثناء انه قال في بعض كلماته هل رايت شيئا من

غير بان او حجابه من غير حجاب ثم اشار الى برهان اللم الذي هو مسلك اخص الخواص

في نجاة العارفين المتالهين المعرضين عن كل ما سواه بحقايق الايمان التاركين للزخارف

المجاوزين للمعارف وهم الشاربون ماء الحيوان وهم انسان العين بل عين الانسان

وما هم عليه من شامخ الحقيقة ارفع من ان يطير اليه كل طاير وسرادق

عزهم احجب من ان يحوم حومه كل سابر بطائر العون كتب الآفاق والانفس

على وفق كتاب الله المجيد اَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ وَنَحْنُ

اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ والله نور السموات ومن البين عند كل نجاب

ان بالنور يتنور الظلمات وبالغواسق الخائضة في ملطمات الثياب ليس يعرف

رب الارباب واليه قد وقعت الاشارة فيما ورد في الاثر ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله

وقول

وقول رئيس الموحدين امير المومنين ع لم اعبد ربا لم اره وفي كتاب الاحتجاج

من سوال الزنديق الذي سئل الصادق ع في مسائل الى ان قال كيف

يعبد الله الخلق ولم يروه قال راته القلوب بنور الايمان واثبتته العقول

بيقظتها اثبات العيان وابصرته الابصار بما رات من حسن التركيب واحكام

التاليف وبمثله يومي قول صادق اهل البيت ع بعد اياك نعبد واياك

نستعين ما زلت اردد ها حتى سمعتها من قائلها والمساعدة عزة لسيد الشهداء

في يوم عرفة حيث قال الهي ترددي في الاثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك

بجذبة توصلني اليك كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك

ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج

الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك عميت

عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا

الهي امرت بالرجوع الى الاثار فارجعني اليك بكسوة الانوار وهداية

الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر

اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها منك اطلب الوصول اليك وبك

استدل عليك فاهدني بنورك اليك الهي حققني بحقايق اهل القرب

واسلك بي مسالك اهل الجذبات الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك
حتى عرفوك ووحدوك وانت الذي تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا
في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء انتهى الفقرات الشريفة ملخصه واذا طلع
الصباح فما من حاجة الى المصباح ومن الله الفلاح واليه يرجع الصلاح
وفي حديث منصور بن حازم في الكافي انه قال قلت لابي عبد الله ع اني
ناظرت قوما فقلت لهم ان الله جل جلاله اكرم من ان يعرف بخلقه
بل العباد يعرفون بالله فقال رحمك الله ثم اشار الى ان حقيقة الوجود له
وتمام الجود مختص به سبحانه فان كل ما سواه منه ياخذ الوجود وتمام
الجود مختص به ومن مقتضيات جوده يسمح لا من نفسه اللهم ودوام آلية جوده
كابديته غير مستلزم للقدم وعدم فناء العالم فان الجود من صفات الذات
لا ينفك عنه تعالى شانه ازلا وابدا وان لم يظهر اثره عند ما هم العدم ولم يقبل
سواه جوده الا انه لم يبخس حظه ونقص نصيبه عن تلك الموهبة العظمى والنحلة
العليا كما سيجيء مزيد بسط لتحقيق المقام ان شاء الله العزيز عند الكلام في
تحقيق الحدوث والقدم للعالم فقال

لو خلا الخلق جميعا طرف عين   عن قبول فيضه في العالمين

كل ما قد جاء في فيض وجود   عاد في ساح العدم داح الوجود
كل ما في عالم الامكان كان   استكان صار ما كان المكان

اشارة الى افتقار الممكن في بقائه بعد وجوده الى علته كما كان في حدوثه
لبقاء علة الافتقار فيه وتساوي الوجود والعدم بالنسبة الى ذاته
فلو كان خارجا بوجوده الى الوجوب مستغنيا عن واهب الجود لكان ممتنعا
حين انعدامه ولا يخلو حاله عن احدهما وايا ما كان خرج عن مقتضى ذاته
ولزم انقلابه في خواصه وصفاته وهو محال لان مآل المفاهيم الثلثة
الى النفي والاثبات ولا ينقلب النقيض الى النقيض الآخر مع بقاء نفسه
بثبات والمراد بالوجود الوجود العارض على الماهيات الممكنة المتميزة
بها لكل فرد فرد حصة مفروضة عن فيضه تعالى فبمحض انسداد طريق الفيض
يرجع الكل الى ما كان في ظلمات العدم فكانه لم يظهر قط في ساحة العالم
وكل شيء وجد في حيز الامكان بعد ما خرج عن قابلية اخذ الجود والامتنان
ذل وخضع ولم يكن له اقتدار بالامتناع ولا مماطلة في الانتفاع وفرض الخروج
عن القابلية من دون فرض عدم الفيض مع ان فرض المحال ليس من المحال
والمبالغة في كمال الفياضية للجواد المطلق بحيث لا يمكن فرض اخذ فيضه

عن جميع المكونات فضلا عن تحقق وقوعها الآنجر وجها عن القابليات
فالنقص والانتقاص منها لا اليه وبحسن الخطاء مرجعهما لا عليه قال
الشيخ الرئيس في كتاب المبدء والمعاد كل حادث فله علة في حدوثه وعلة
في ثباته ثم لم يمكن ان تكون ذاتا واحدة مثل القالب في تشكيله للماء ويمكن
ان يكون ذلك شيئين مثل صورة الصنم فان محدثها الصانع و
مثبتها يبوسة جوهر العنصر المتخذ منه ثم قال ولا يجوز ان يكون الحادث
ثابت الوجود بعد حدوثه بذاته فانا نعلم ان ثباته ووجوده ليس واجبا
في نفسه ولا ثابتا بنفسه فمحال ان يصير واجبا بالحدوث الذي ليس
واجبا في نفسه ولا ثابتا بنفسه ثم قال اعلم ان ما اكتسب الوجود وجوبا
اكتسب العدم امتناعا ومحال ان يكون حال العدم ممكنا ثم يكون
حال الوجود واجبا بل الشيء في نفسه ممكن ويعدم ويوجد واي
الشرطين اشترط عليه دوامه صار مع شرط دوامه ضروريا لا ممكنا
ولم يتناقض فان الامكان باعتبار ذاته والوجوب والامتناع با
عتبار الشرط اللاحق به فقد بان ان ثبات الحادث ووجوده بعد الحدوث
بسبب يمد وجوده وان وجوده بنفسه غير واجب ومن وجه آخر ان

الممكن

في اثبات [illegible]

ان الممكن في حد نفسه مفتقر الى المؤثر فيدوم الافتقار بدوام علته وهو
الامكان فقائم المؤثر انما يكون في استمرار وجود الحادث لا وجود ثان
حتى يتأتى تطرق الشبهة ومما يبين العقل تصوره مثال الشمس فانه
يضيء المستضيء بمجرد تخفيف الحجاب بينهما او بينه يزول الضوء عنه بالمرة

عالم الموجود لا يخلو بحال … عن وجود واجب هو لا يزال
لا تقل بالاولية وجد … انقلاب لازم خذ واشدد
والترجح بلا ترجيح … من محال عند عقل فاتجه
ولذاك قام برهان القسم … فاستمع قولا كروح في النسم
جا امكان لذات مثل ذا … امتناع واجب فليؤخذا
بيقين انحصار اسسا … شبهة ابن كمونة طلسا
اذ لذات واجب مفروضنا … فوجود بعد صدق فرضنا
والعدم لو كان من فرض محال … فلذات ام لغير لا محال
امتناع لازم للاول … بانقلاب كالخبير عول
ما لذات لا يكون بالعرض … ومحال الفرض لا ينفي العرض
حاجة الامكان مع شرط الحدوث … ان لحقت قد اصبت في البحوث

بِحُدُوثٍ وَحْدَهُ فِي ذَا الْمَقَامِ   عِنْدَ قَوْمٍ نَحْوُ أَمْرٍ لِلْكَلَامِ
وَكَذَا الْإِمْكَانُ كَافٍ فِي الْعِلَلِ   بِهِمَا بَعْضُ كِرَامٍ اتَّكَلْ
لَوْ جُمِعَتْ لِلْأَتَنَاهِي مِنْ عِلَلِ   وَكَذَا الْمَعْلُولُ مِنْ دُونِ خَلَلْ
كُلُّهَا مِنْ كُلِّ حَيْثٍ فِي افْتِقَارٍ   خَالٍ عَنْ حَدٍّ كَمَالِ الِاضْطِرَارِ
خَارِجٌ لَا بُدَّ مِنْهَا الْوَاجِبُ   نَعْلُو لَا لِفَنَاءٍ طَالِبُ
ثُمَّ بُرْهَانُ الطَّبِيعِيِّ بِالرُّمُوزِ   لَوْ عَنَيْتَ صُنْ بِبَيَانِ الْعَجُوزِ
عِنْدَ قَوْمٍ لِلْهَيُولَى صُورَةٌ   أَنْتَ لَوْ شِئْتَ فَذَا مَشْهُورَةٌ

ولما فرغ عن اثبات الصانع تعالى شانه شرع في اثبات الواجب لذاته المؤثر في العالم واريد بالواجب ذات وحقيقة عينية ليستقل بذاتها في انتزاع مفهوم الوجود العالم البديهي عنه ويلزمه امور ثلثة حمل المشتق منه عليه ضرورة الحمل بالذات وامتناع حمل العدم المقابل له بالذات للتلازم الواقع بين حمل احد النقيضين على شيء وامتناع حمل النقيض الآخر عليه لضرورة امتناع اجتماع الايجاب والسلب ثم اعلم ان للعلماء في اثبات واجب الوجود لذاته من طريق الاستدلال طرق منها التمسك بدليل الوجود وهو طريقة الالهيين فانهم يستدلون بالنظر الى الوجود وتقسيمه الى الواجب والممكن

على اثبات الواجب ثم فيما يلزم الوجود والامكان على صفاته ثم بصفاته على افعاله واختاره المحقق الطوسي قدس الله سره القدوسي في تجريد العقائد ومن قبله الشيخ الرئيس وجماعة اخرى وتقريره انه لا ريب في وجود موجود في الواقع بالبديهة وكل موجود اما ان يكون واجبا او ممكنا لانحصار الامر فيهما اذ لا حظ للممتنع ولا الاعدام المحضة منه بشيء واما الاعدام بالملكة فانها وان كان لها حظ من الوجود لكنها تابعة للموجود ولا وجود لها برأسها فتبين انحصار الوجود في الواجب والممكن فاي موجود اخذته فاما ان يكون واجبا او ممكنا فان كان الاول ثبت المطلوب وان كان الثاني احتاج الى المؤثر خارج عن نفسه لبطلان الاولوية الذاتية فان كان واجبا فالمطلوب وان كان ممكنا احتاج الى مؤثر آخر فان كان الاول دار وان كان غيره ننقل الكلام اليه فاما ان ينتهي الى واجب بالذات وهو المطلوب او يتسلسل والدور والتسلسل محالان كما سيجيء وبوجه آخر بعد ما ثبت وجود المؤثر للعالم فاما ان يكون واجب الوجود لذاته اولا فان كان الاول ثبت المطلوب وان كان الثاني احتاج في وجوده الى الخارج عنه

ولا يكون الا واجب الوجود او الممكن لانحصار الموجود فيهما فان كان
الواجب فهو المطلوب وان كان ممكنا فهو الخلاف المفروض
لاجتماع جميع الممكنات في تلك الجملة في الفرض الاول ولما كانت هذه
الطريقة ايضا موقوفة على نفي الاولوية الذاتية للممكن وله براهين
انيقة مذكورة في محله فللايقان بذكر هنا بعض منها ومن جملة
ذلك انه لو جاز خروج الممكن عن كتم العدم بالاولوية الى ساحة
الوجود لصار واجبا لذاته والتالي باطل لاستحالة انقلاب الحقيقة
فكذا المقدم بيان الملازمة بعد ما ثبت امتناع الترجح من غير
مرجح بان يقال في هذا الفرض اما ان يكون عدم الممكن محتملا
ام لا وعلى الاخير انقلبت الحقيقة وصار ما فرضته ممكنا واجبا وعلى
الاول صار عدمه ممتنعا لما ذكر من اولوية الوجود والمفروض
ومرجوحية العدم فلا يحتمل ما احتملته بل امتنع ايضا لاولوية
ترجح المرجوح بالامتناع فان المرجوح اضعف من المساوي كل
ما لزم من فرض وجوده عدمه فهو الممتنع وكلما امتنع نقيض و
جوده فهو الواجب فلزم ايضا الانقلاب او وجود الواجب فتبين

انه ما فرضته

ان ما فرضته ممكنا واجبا وبطريق آخر هذا الممكن الذي فرض وجوده
بمجرد الرجحان ان كان علة موجدة لنفسه لزم تقدمه على نفسه
وان لم يكن علة موجدة لنفسه كان موجودا بلا سبب وقد تقدم
بطلانه ببداهة العقل ومع ذلك فهو جائز العدم لامكانه فيلزم
جواز انعدام الموجود من غير سبب نقيضه بل من نفسه كما اشار اليه
الفارابي وبيان ذلك وتحقيقه على ما نبه به العلامة الدواني في رسالة
اثبات الواجب انه على تقدير وجوده بالرجحان يكون متصفا بالرجحان
الوجود ولا يكون عينه والا لكان ما فرض ممكنا واجبا فيكون ذاته
منشئ رجحان الاتصاف والمفروض انه لم يبلغ حد الوجوب فيجوز
عدمه مع بقاء الرجحان اذ التالي لا ينفك وان لم يجز لكان بالغا
حد الوجوب وينقلب الحقيقة وقد فرض عدم بلوغه حده هف
وقال جماعة منهم الشيخ الرئيس في كتاب المبدء والمعاد والاشارات
ان هذه الطريقة اعني التمسك بطريق الوجود اوثق المناهج واقويها
واتمها واقلها مؤنة لعدم الحاجة فيها با النظر الى الحدوث والامكان
والحركة واشرفها لابتنائها على اصل الوجود وهو اشرف واكرمها موضوعا

فانها شبيهة بطريق الصديقين الذي اشير اليه سابقا لكونه نظرا الى الوجود
وهو عين حقيقة وان لم ينظر الى موجود آخر من خلقه وآثاره وهي شبيهة
للبراهين اللمية لكونه لا من جهة الآثار حتى يكون انيا ولعدم كونه بحقيقة
من العلة الى المعلول ليس ايضا لميا محضا وعن الشيخ في الحكمة المشرقية
انه قال من القياسات الانية ما هو اقرب من اللمي بل كاد ان يكون في مرتبته
في الوثوق وهو ما يكون من اللوازم المنتزعة من حاق الملزوم وحقيقته
من غير اعتبار امر آخر والطريق المذكور يعني المتخذة من طريقة الوجود
من اجل كونه بالنظر الى طبيعة الوجود المنتزعة من ذاته تعالى بلا اعتبار
امر زائد كذلك وبيان وثاقة اللمي وشرفه على ما بينه المحقق الطوسي
في شرح الاشارات ان الان ربما لا يتم اليقين لاحتمال ان يكون
للمعلول علة اخرى غير معروف بالعلية وجعل الشيخ قوله سبحانه
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ
الْحَقُّ اشارة الى الان وقوله عز من قائل أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ الى اللم ولك ان ترجع الاول الى الاخير
فان المرائي من المظهر اولا هو المظهر لا نفس المظهر وحقيقته كما لا

اليه

اليه قوله عم فيما سبق ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله ويؤيده ما في
الاية فان الظاهر ان آخرها مرتب على الاول ثم فانه دقيق نعم في الوجوه
الالهي لكل فريق سبيل ومن ذلك قوله وَإِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ واما الخامس منبهات للدليل
على الرب الجليل وعلى اي تقدير فهذا التقرير يحتاج الى قيام البرهان
على برهان الدور والتسلسل ولبعض الفضلاء طريق آخر لا يحتاج الى
ابطالهما فقال على قاعدة ان الشيء ما لم يجب لم يسد عند جميع انحاء
العدم لم يوجد لما قد تبين من بطلان الوجود بمحض الاولوية انه
لو فرض انحصار الموجودات في الممكنات فلا بد من واجب بالذات
ليستند اليه وجوب وجودها بالغير والا لبقي في ساحة العدم ولم
يوجد جميع العالم لانها جميعا في حكم ممكن واحد في جواز طريان
العدم عليها فيأتي على افرادها ما يأتي عليها بالضرورة وفي ذلك
طريق آخر منقول عن بعض الاعلام من غير حاجة الى بطلان التسلسل
ايضا وهو انا لو فرضنا انحصار الموجودات في الممكنات لاحتاج
الى الايجاد موقوف على الوجود لان الشيء ما لم يوجد لم يوجد وبيانه ان الطبيعة

الموجود على تقدير انحصاره في الممكن ممكنة محتاجة الى طبيعة الايجاد
وهي باسرها موقوفة على طبيعة الموجود فيلزم الدور المحال لا يقال
ان اللازم التسلسل لا الدور لعدم استحالة كون الشيء في ضمن فرد
محتاجا وفي ضمن آخر محتاجا اليه لانا نفرض طبيعة الوجود الممكنة
المتحققة في جميع الافراد ثم نتم البرهان كما عرفت وتقرير برهان
انحصار المفاهيم ان يقال كل مفهوم في نظر العقل اما ان يصح له الوجود
الخارجي اولا والثاني هو الممتنع والاول اما ان يمتنع عدمه ام لا و
الاول الواجب والثاني الممكن ولا واسطة بين النفي والاثبات بالبديهة
فثبت الانحصار واما ما ذهب اليه جماعة من المعتزلة من ثبوت المعدومات
والحكم بتحقق الثبوت وفصله بين الوجود والعدم فان كان مرادهم
حصول الامتياز العلمي والتقرر الرابطي عند العالم لها من غير استلزام تكثر
في ذاته اصلا فرقا بذلك بين المعدومات المتجددة الحصول والممتنعة
المحضة فحسن وان ارادوا ان لها حقيقة ثابتة متميزة بذواتها بلا
تأثير مؤثر واثبات مثبت فهو باطل للضرورة العقلية كما ادعاه
جماعة من العلماء من عدم الفرق بين الثبوت والوجود وكذا الشيئية

وينبّه

وينبّه به الصادق ع في حديث حيث قال لم يكن بين النفي والاثبات
واسطة فان المراد بالاثبات في كلامه اثبات الوجود والنفي عنده
اخص من العدم فانهم قد قسموا المعدوم الى ثابت ومنفي فعلى
تقدير حقيقة قولهم فالثبوت واسطة بين النفي المحض واثبات
الوجود وقد نفاها ع فيكون مذهبهم باطلا والغرض من ذكر امثاله
ارادة الطريق وتأييد الدليل ليعلم اي الفريقين بالاخبار حقيق
ويعاضده ايضا ما تكلم به الرضا ع في حديث سليمان المروزي
قد قامت على بطلان مذهبهم حج براهين كثيرة ودلايل غفيرة
وللوالد العلامة رحمه الله في ردهم رسالة لطيفة فاذا ثبت انحصار
الموجود في الواجب بالذات والممكن كذلك فلا وقع لشبهة اشتهرت
بالتمويه المبين والتشكيك المستبين حتى سميت بمفخر الشياطين المنسوبة
الى ابن كمونة وليس هو موسسها على ما يشهد به صدر المحققين في
الاسفار بل ذكرها وشاهرها وحاصلها تجويز احتمال كون وجوب الوجود
عرضيا مشتركا بين الواجبين ويكون قد حصل التميز بينهما بهوية
كل منهما وبعد التامل في البرهان القايم في المقسم والقسمة لتردده بين

النفي والاثبات والضرورة واللاضرورة فاضمحلت عن جوهره تلك
الشبهة المخدعة والفتنة العمهة وسيجيء في دلائل التوحيد وفي
الشبهات مزيد لبسط لذلك انشاء الله العزيز فبالتامل العميق والفكر
الانيق يصل الذكي من تلك الى برهان اثبات الواجب من دون التشبث
بذيل ما سوى تصور مفهوم وجوب الوجود والخواص اللازمة له
وتلك الطريقة اوجز واوثق فيلاحظ اصل مفهوم الوجود وانحصار
انقسامه ضرورة في ممكن وواجب فيشهد بوجود الواجب لذاته
بالبديهة ويتم المطلوب اذ من مقتضى وجوب الوجود ان يكون
موجودا بنفسه بضرورة وجوده واستحالة فرض عدمه سابقا
ولاحقا وحكم العقل باستغنائه وامتناع طريان العدم لشيء من
عزه وجلاله ولو لم يكن موجودا بالفعل لكان فرض وجوده
محالا لسبق العدم على وجوده وذلك من خواص الممكن لا الواجب
فصار ما فرضته واجبا ممتنعا وقد قلت بجوازه وهذا خلف
فكل ما سواه من الموجودات مما له ماهية وآنية غير حقيقة
الوجودية يصير موجودا للزوم لا ضرورة الوجود لها و

واستحالة الانقلاب والاولوية فيها فيكون وجوده تبعا لوجوده
ورشحا من فيض جوده فسبحان من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة
مخلوقاته واشار بقوله والعدم لو كان من فرض محال الى ما ذكره المحقق
الرباني مولانا شمس الجيلاني في حاشية الخضري وهو انه لو لم يكن
في الوجود واجب الوجود بذاته لكان واجب الوجود بذاته العياذ
بالله معدوما وح لا يخلو من ان يكون عدمه بالذات او بالغير فان
كان الاول يلزم ان يكون واجب الوجود ممتنع الوجود فيلزم الانقلاب
ايضا فظهر ان عدم واجب الوجود لا يكون واقعا والا يلزم انقلاب
الماهية وهو محال بالذات انتهى كلامه ولطائفة منهم طريقة اخرى
وهي جعل علة الحاجة الى المؤثر الواجب الامكان بشرط الحدوث فيقال الموجود
الحادثة في عالم الامكان اما ان يكون مستندا الى علة واجبة غير حادثة
ام لا فان كان الاول ثبت المطلوب والا لاحتاج الى الخارج فان كان
الاول دار والا تسلسل وتمسك جماعة في اثبات المطلوب بطريق الحدوث
وتقريره ان يقال لما ثبت حدوث العالم على ما سيجيء انشاء الله فلا بد من
ان يكون له محدث فان كان واجبا ثبت المطلوب وان كان محدثا ننقل

الكلام الى محدثه فان كان الاول دار والا تسلسل كالاول وهنا طريق آخر
منسوب الى المحقق الطوسي من طريقة الامكان وهي ان الممكن لا يجب
لذاته فلا يكون له وجود وما لم يمكن له وجود لا يكون لغيره عنه وجود
فلو كانت الموجودات باسرها ممكنة لما كان في الوجود موجود فلا بد من
واجب بالذات وهو المطلوب وهذا البرهان مبني على حاجة الممكن الى
المؤثر وهو ضروري عند المحققين كما ذكره ره في الامور العامة من
تجريد العقائد وخفاء التصديق لخفاء التصور غير قادح وعلى نفي الاولوية
وقد تقدم بيانه وبعبارة اخرى موجد جميع الممكنات وجب كونه
خارجا عنها لعدم استقلالها في وجودها ولا ايجادها اذ لا وجود ولا
ايجاد بالنسبة الى ذاتها الخارج انما يكون واجبا بالذات لانحصار
الموجود فيهما وهو المطلوب والمنقول عنه ره طريقة اخرى انيقة قريبة
مما تقدم مع مزيد تبيان مبتنية على مقدمات متينة وهي ان الشيء ما لم
يجب لم يوجد وان الوجود لا يجب لشيء ما لم ينسد عنه جميع انحاء
العدم وان جميع الممكنات في حكم ممكن واحد في جواز طريان العدم
عليها بتمامها والمقدمتان الاولتان مبتنيتان على بطلان الاولوية

الذاتية

الذاتية وقد تقدم برهانه والاخيرة بديهية لاشتراك الكل في الطبيعة
الامكانية فتشاركت في المقتضى والا لخرج عنها وهو خلاف المفروض
وبعد تمهيد المقدمات الثلثة نقول كل واحد من الآحاد ولا يمكن وجوده
الا اذا وجب جميعه من واجب بالذات وبالغير للمقدمة الاولى والواجب
بالغير المستند الى الواجب بالذات غير صالح لوجوب معلوله فانه انما
يكون فيما اذا سد جميع انحاء عدمه للمقدمة الثانية والسد غير ممكن
له لان من جملة الاعدام عدمه في حد نفسه مع عدم علته وهذا النحو
من العدم غير ممتنع على شيء من العلل الممكنة وان فرضت غير متناهية
لجواز عدم المعلول مع انعدام جميع علله للمقدمة الثالثة فلا يصير
واجبا فلا يكون موجودا وقد فرض وجوده فيجب استناده الى واجب
بالذات وباستناد جميع العلل يلزم تناهيها وقد فرض غير متناهية
وهذا خلف وهذا البرهان كما يفيد اثبات الواجب يفيد استحالة
السلسلة الغير المتناهية واليه اشير بقوله لو جمعت اللامتناهي من علل و
بهذا التقرير ينحل شبهة ما فوق المعلول الاخير المشهورة وهي انا نختار
كون العلة للسلسلة جزءها ولا يلزم كون الشيء علة لنفسه ولعلله فان استناد

بشيء الى شيء يتصور بوجهين احدهما ان يكون مستندا الى شيء فقط و
هذا يتصور فيما اذا كانت العلة بسيطة والثاني ان يكون مستندا الى شيء
يكون مشتملا على جميع ما يتوقف عليه معلوله فلقائل ان يفصل السلسلة الغير
المتناهية الى جزئين احدهما المعلول الاخير وثانيهما ما فوقه فجميع ما فوقه
امر موجود يكون علة للمعلول الاخير وثانيهما جميع ما فوق هذا الجزء
وهكذا فلا يلزم كون الشيء علة لنفسه ولعلله وهذه الشبهة مندفعة
للمقدمة الثالثة وقد اشار اليها المحقق الخضري ايضا فانه لما كان جميع
سلسلة الممكنات في حكم واحد في امكان طريان الانعدام عليها فلا بد
من علة فاعلية مقتضية لوجودها خارجة عنها والا لزم كون الشيء علة
لنفسه ولعلله وتنحل ايضا بالمقدمتين الاوليين اذ يمكن ان السلسلة الممكنة
غير صالح لرفع العدم عن غيره لعدم وجوبه في نفسه من حيث تطرق
احتمال الانعدام عليه فيما فرضته موجبا للبعض هو الموجد للجميع و
المنقول عن الطبيعيين ومنهم ارسطاطاليس انهم ذهبوا الى اثبات
الواجب من طريق الحركة فقالوا الافلاك متحركة بذواتها لان الشيء
يستحيل ان يحرك ذاته وليست مقسورة ولا متحركة بالطبيعة فهي اذن نفسانية

فلابد

فلابد لها من غاية وليس غايتها السوافل ولا العوالي الجسمانية فهي
اذا غير جسمانية فان كانت ممكنة لزم التسلسل والا فهي واجبة وهذه
الطريقة مبنية على مقدمات غير ثابتة كما نبه به العلامة وره واتباعه
بالاخرة ايضا على اعتبار الامكان وعن بعض الفضلاء انه قرر طريقتهم بنحو
الآخر وهو الاستدلال بالحركة والمتحرك الذي هو موضوع علمهم فقالوا
بعد اثبات ان لكل متحرك متحركا لا يجوز ان يكون الشيء محركا لنفسه وتمتنع
ذهاب سلسلة المحركات لا الى اول فلابد من وجود محرك اول غير متحرك
ولا متغير لا في صفاته كالمتحرك في المقولات المشهورة ولا في ذاته
كالممكن المنتقل من الليسية الذاتية الى الايسية وعن بعض العرفاء الفضلاء
انه طابق هذه الطريقة على طريقة الخليل على نبينا وآله وعليه السلام حيث
قال لا احب الآفلين ولعل وجه التطبيق هو الاستدلال بحدوث
الجواهر وحدوث العارض على ان لها محدثا ويمكن حملها على طريقة
الامكان فان التغير يقتضي امكان المتغير كما نبه به الواحد العلامة رحمه الله
فالمحقق الاحسائي في تقرير مدعاهم طريق آخر فقال الحركة ليست علتها
نفس الجسمية والا لدامت بدوامها فكان كل جسم متحركا ولكانت الحركات

غير مختلفة لاتفاق الاجسام في الجسمية وتنابد العلة فيجب ان يكون للحركة
علة غير الجسمية فان كانت واجبة الوجود ثبت المطلوب والا
كانت ممكنة فينتهي الى الواجب لذاته على نحو ما مر واما الموفق
للسطير من تبيان العجوز فاشارة الى مقالتها الشهيرة فانها بعد ما
سئلت عن كيفية حصول علمها ويقينها بامرها قالت تحققته من
مغزلي هذا فاذا ما ادرتها لم يتحرك فعلمت وتعرفنا ان لكل
متحرك محركا فلا يكون للسماء بتلك العظمة محركا عظيما
ويمكن هيهنا اخذ برهان آخر على مذاق القائلين بالهيولى والصورة
بان يقال ان الهيولى في تحصلها تحتاج الى الصورة وكذا الصورة
في تقومها تحتاج اليها والجسم مفتاق الى كليهما ضرورة حاجة
المركب الى اجزائه فلا بد لهما من خارج مفارق ليستدعيهما للجمع
بينهما وهو الموجب اذ الممكن لا يمكنه سد العدم من نفسه
فكيف عن غيره ومرجع هذا الطريق ايضا الى ملاحظة الامكان على
القول بانحصار الممكنات في الماديات ونفي المجردات منها ولك
ان تقرر دليل التركيب بحيث يشمل المجردات ايضا فنقول كل

ممكن

ممكن زوج تركيبي له تركب حقيقة وفصل وماهية عارية في حد ذاتها
عن كل كمال ووجود عارض عليه فيحتاج الى صانع مفارق عن سنخه
لاشتراك العلة فيما تحقق فيه حقيقة وتركيبا ايضا فالوجوب من العلة
الجاعلة له والامكان الحاصل من لدن نفسه ومن ما بالقوة ومن ما بالفعل
والمغايرة قابلي الا الواجب الحق تعالى شانه وعظم برهانه الذي تنزه عن
مجانسة ما سواه لعلو ذاته وسمو صفاته وانت لو تاملت في البيت الاول
لا تشك في صائب الفكر لتطبيقه على جميع ما ذكر من الطرق فيه وبعض على
الطرق وان لم يصف عن القيل والقال ولا يخ عما يرد عليه من المقال لكن
عمدة الغرض من ذكرها اتفاق الباء العقلاء في الاسلوب موافقا لما جاء
به جميع الانبياء من المطلوب وان تفننوا في الطرق الموصلة الى المطالب
وللناس فيما يعشقون مذاهب وفيما ذكر كفاية للطالب الاديب ووقاية
للسالك الاريب ولما كان بيان كثير منها موقوفا على بطلان الدور و
التسلسل مست الحاجة الى ذكر بعض البراهين القائمة على بطلانهما فاشار بقوله [illegible]

لِلتَّسَلْسُلِ وَدَوْرٍ لا مُحَالْ — كُلُّ ذَا لِفَرْضِهِ فَرْضٌ مُحَالْ
يَجْمَعُ الدَّوْرُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمْ — وَالتَّوَقُّفَ عَلَى النَّفْسِ الْتَزَمْ

فِي الْمُصَرَّحِ كَمَا فِي الْمُضْمَرِ ... ذَلِكَ مِنْ بَيِّنٍ فَلَا يُضْمَرُ
لِلتَّسَلْسُلِ وُجُوهٌ غَامِضَةٌ ... وَنُفُوسُ الْكُلِّ فِيهَا خَائِضَةٌ
كَيْفَ تَسْوِي نَاقِصَ الزَّائِدِ ... وَتَنَاهِي اللَّاتَنَاهِي شَاهِدُهُ
خُصَّ قَوْمُ الْمُحَالَ بِالَّذِي ... فِيهِ تَرْتِيبٌ فَخُذْهُ وَانْقُلِ
فَالتَّطَابُقُ بِتَطْبِيقِ الطَّرَفْ ... ثَابِتٌ دُونَ الْحَصَى مَا مِنْ سَرَفْ
وَقِيَامٍ بَعْدَ ضَبْطٍ لِلْوُجُودِ ... عَدَدٌ مِنْ بَعْدِهِ مَا مِنْ صُدُودٍ
وَكَذَا النَّقْضُ بِقَدْ مُدَانِهِ ... أَنْتَ لَوْ قِسْتَ بِمَعْلُومَاتِهِ
وَبِتَطْبِيقٍ لِأَعْدَادِ النِّسَبَتَيْنِ ... أَجَلْ سَبْقٍ فَالتَّنَاهِي دُونَ مَيْنِ

المحال من الكلام ما عدل عن وجهه كالمستحيل ولا محالة منه بالفتح لا بد قاله في القاموس والدور توقف الشئ على ما يتوقف عليه ويسمى الدور المصرح لظهور امر التوقف الذي فيه كتوقف أ على بَ وبالعكس او بوسط ويسمى الدور المضمر لكون التوقف فيه مضمرا غير مصرح كتوقف أ على بَ وبَ على جَ وجَ على أ كلاهما محال للزوم توقف وجود الشئ على نفسه في الاول بمرتبة وبمرتبتين في الاخير بل الاخير اولى بالبطلان من الاول وهكذا كلما تعددت الواسطة فهو اولى بالبطلان

من الاول واستحالة توقف وجود الشئ على نفسه بديهية لان الايجاد يقتضي وجود الموجد اذ الشئ ما لم يوجد لم يوجد والمفروض توقف وجوده على معلوله بمرتبة او بمراتب فيلزم اجتماع عدم الشئ مع وجوده او تقدم الشئ على نفسه وكلاهما بديهي البطلان وكذا افتقار الشئ على نفسه اللازم من فرض الدور اذ الافتقار انما يكون بين شيئين وكل ذلك من باب التنبيه واما بطلان التسلسل وهو ذهاب السلسلة الى لا نهاية له فلطرق منها برهان التطبيق وتقريره فيما نحن فيه كما قيل انا لو فرضنا جملة من العلل والمعلولات الى غير نهاية لجاز لنا تحصيل جملتين منها احديهما من المعلول الاخير والاخرى من معلول قبله بمرتبة متناهية ويكون مراتب مثلا وهذه الجملة الناقصة جزء من التامة وانقص منها بقدر ما نقص منها فبعد انطباق الناقصة بالزائدة بان يجعل الاول بازاء كل واحد من الناقصة شئ من الزائدة لزم تساوي الزائد والناقص بل الكل والجزء وهما بديهيا البطلان غير محتاج الى البيان وان لم يقع بل انتهت الناقصة لزم تناهيها والزائدة غير زائدة عليها الا بمقدار متناه فيكون ايضا متناهية وقد فرض عدم تناهيها فيلزم

اجتماع المتقابلين في النفي والاثبات وهما التناهي مع عدم التناهي و
هو محال وما يستلزم المحال فهو ايضا وقد فرضوا في مبحث تناهي الا
بعاد في تصوير هذا البرهان خطين غير متناهيين من مبدء واحد ثم
نفصل من احدهما قطعة ولتكن خمسة اجزاء مثلا ثم نقصد انطباق احد
الخطين على الاخر بان نقابل مبدء احدهما على مبدء الاخر بعد الفصل
والثاني بالثاني والثالث بالثالث وهكذا فان استمر كذلك يلزم
تساوي الناقص والزايد والبديهة تحكم باستحالته وان انقطع الناقص
يلزم منه ايضا انقطاع الزايد لان الزايد زايد عليه بمقدار متناه فيكون
متناهيا هذا خلف واعترض على هذا البرهان بمنع لزوم التساوي
على تقدير ان يقع بازاء كل جزء من الناقصة فان ذلك كما يكون للتساوي
فقد يكون لعدم التناهي واجيب بدعوى الضرورة في ان كل جملتين
سواء كانتا متناهيين ام غير متناهيين فاما ان تكونا متساويتين
او غير متساويتين وكذا لزوم انقطاع الناقصة عند التطبيق ولو لم
ينقطع وكانتا ابدا متطابقتين للزم تساويهما ابدا وهو ملزوم
التساوي بينهما بل نفسه ثم ان جماعة اجروا هذا البرهان في ابطال اللاتناهي

مطلقا

مطلقا من غير الفصل غير فصل بين المترتبة وغيرها بشرط ضبط الوجود
وبذلك اجابوا عن نقض العدد فانه اعتباري محض لا ضبط فيه للوجود
واورد على المقدمة القائلة بان احدى الجملتين اذا كانت انقص يلزم
تناهيها بان مقدورات الله اقل من معلوماته فان شرط القدرة الا
مكان بخلاف المعلوم لشموله الواجب والممتنعات ايضا فتنقض المقدمة
واجيب بعدم تسليم اللاتناهي مع ضبط الوجود منهما ولعدم التناهي فيهما
امر آخر لا يضرنا وهذا مسلك المتكلمين واما الحكماء فقد خصوه بالمترتب
المجتمع في الوجود وبيانه على ما ذكره بعض المحققين انه اذا كانت الآحاد موجودة
معا في زمان وكان بينها ترتب فاذا جعل الاقل من احدى الجملتين بازاء الاول
من الاخرى وقع الثاني بازاء الثاني وهكذا فيتم التطبيق وينطبق الآحاد
بالآحاد بلا شبهة واذا لم تكن موجودة معا لم يتم ذلك لان وقوع آحاد
احديهما بازاء الآحاد الاخرى ليس في الخارج لعدم اجتماعها فيه ولا في
الذهن لاستحالة وجودها مفصلة فيه وكذا لا يتم الدليل فيما اذا كانت
موجودة معا ولم يكن بينها ترتب لجواز ان يقع آحاد كثيرة من احديهما بازاء
واحد من الاخرى واعتبار العقل ينقطع لا محالة بقطع الاعتبار ومثلوا

للتوضيح يتوهم التطبيق بين جبلين ممتدين وبين اعداد الحصى فان في
الاول تطبيق طرفيهما كاف في وقوع كل جزء من احدهما بازاء جزء من
الآخر بخلاف الثاني فان اتساق النظام في المرتب يجعله بمنزلة الجبل
المتصل الاجزاء بخلاف ما لم يترتب لعدم اتساق نظامه فان قبل
التطبيق لا يتوقف على ملاحظة الآحاد بالتفصيل بل يكفي فيه
مثلا ملاحظتها بالاجمال بان نفرض كل جزء بازاء جزء ولو توقف
الآحاد بالتفصيل لم يتم التطبيق على تقدير الترتب ايضا فان وقوع
بعضها بعضا ونسبته اليه في الخارج ليس انطباقا واقعيا حتى يقال
ان الانطباق حاصل هنالك في الخارج بخلاف ما ليس بمرتب
كيف والانطباق حاصل هنالك في الخارج بخلاف امر يفرضه العقل
بين كل منها وبين ما تقدم عليه اجيب بان التطبيق ان يجعل
العقل كل معين من احدى السلسلتين بازاء معين من الاخرى
فلا بد للآحاد من التعين والامتياز ليصح ذلك فاذا كان لها
ترتب في الخارج كان لكل منها تعين فيه بحسبه واما اذا لم
يترتب الآحاد في الخارج ولم يتميز بعضها عن بعض في الواقع فلا بد من

ان يتميز

ان يتميز ويتعين عند العقل فيمكنه تطبيق بعض على بعض بالمعنى
المذكور والملاحظة التفصيلية في صورة عدم الترتب مما يجب لذلك
لا لان نفس التطبيق لا يتأتى بدون ذلك فظهر كفاية الملاحظة
الاجمالية في صورة الترتب لا في غيرها واما ما قيل من ان مع عدم الترتب
لا يلزم انقطاع احدى السلسلتين لجواز كون زيادة الزايدة في الاوساط
بان يتحقق فيما بين الآحاد واحد لا يكون بازائه شيء من الاجزاء ثم يتكافى
السلسلتان فيما بقي السلسلة الاخرى تطبيقا وهميا او فرضيا انتقلت
الزيادة من حيز الطرف ودرجته الى حيز الوسط ومرتبته ولا يزال
ينتقل ويتردد في الاوساط ما دام الوهم او الفرض معملا للتطبيق
ولا يكاد ينتهي الى حد بعينه ودرجة بعينها ابدا ولا يبلغ اقصى الحدود
اخر الدرجات عوض فاذا ما انبتّ اعمال الوهم وانصرم عمل التطبيق تقف
التفاوت بالمفاضلة على ذلك الحد وعلى تلك الدرجة واقتر العدد
الزايد في مقر تلك الزايدة وبالجملة لا مصير للمفاوتة الى جنبة اللاانتهاء
بل انها ابدا في جنبة التناهي اما في حد الطرف واما في شيء من حدود الاوساط
وبيان الانقطاع على ما بينه بعض المحققين من الفضلاء انه ليس هنا الفرض

بعد فرض حتى يصح ان يقال لان الزيادة تنتقل وتتردد في الاوساط ما
دام الفرض معتملا للتطبيق ولا تبلغ الى آخر الحدود بل هناك فرض
واحد يتضمن جميع تلك الانتقالات ولا حاجة ايضا الى تحريك الغير
المتناهي واجزائه اصلا بل يصح ذلك الفرض الاجمالي الكلي مع كون كل
واحد من الآحاد في مرتبة بدون ان يتحرك عن مرتبة الى مرتبة اخرى
فان التطبيق بالمعنى المذكور لا يقتضي سوى تبديل نسبة بنسبة بان
يفرض مثلا كون النسبة التي كانت للجزء الاول من الثانية مع الخامس من
الاول له مع الاول من الاولى وهكذا وتمام التسلسل البنيان ان هذا
البرهان قد تسلمه كثير من الافاضل الذين ليس لهم في عصرهم مماثل
بل احتج كل منهم به في ما ادى به وعليه عول في مطالبه الاشراقيين
والمشائين والمتكلمين ولو كان في نظر العقل من المغالطات لما وصل
الامر الى هذا الحد عند الجميع بمقتضى العادات وقضاء الدربات
وقيل في نصرة المتكلمين القائلين بعدم اشتراط الترتيب بين افراد
السلسلتين المفروضتين انه لا شك في ان وقوع كل واحد من آحاد كل بازاء
الاخرى ممكن فبعد فرضه واضعا نظيره الخلف واجب بمنع الملازمة

فان وقوع كل في مقابل كل موقوف على ملاحظة عقلية تفصيلية لتميز
بعضها عن بعض عند العقل ويمكن من فرض وقوعه وملاحظة الغير
المتناهي مفصلة ممتنع عند العقل فيمتنع ما يتوقف عليه ايضا وهذا
بخلافه في الامور المرتبة الموجودة في الواقع لما قد عرفت من تمكنه
من الملاحظة الاجمالية وكفايتها من اجل ترتبها للتطبيق ويمكن دفعه
بما ذكره المحققين وغيره وهو ان العقل قد يحكم على الاجمال حكما
كليا بالبديهة او الحدث على كل فرد وعلى كل جملة سواء كانت
متناهية او غير متناهية وان كان لو لاحظ التفصيل توقف في
بعض الافراد والجمل كما يحكم العقل مجملا بان كل موجد يجب
ان يتقدم على الموجد من غير تفصيل بين موجد نفسه وبين موجد
غيره ثم يثبت به ان الماهية لا يجوز ان يكون علة لوجودها فتدبر وانما
يقوله ويتطبق اعتبار النسبتين الى وجه آخر للتطبيق غيرها قرره القوم
استخرجه المحقق الطوسي وتقريره بعد عن المعلول المحض
وهو المعلول الاخير ان يحكم بتعدد كل ما فوقه باعتبار العلية
والمعلولية فيحصل هنا سلسلتان بالاعتبارين فان كل واحد من آحادها من

حيث انه علة مغاير له من حيث انه معلول فاذا طبقنا كل ما صدق عليه
نسبة العلية على كل ما صدق عليه النسبة العلية على كل ما صدق عليه
نسبة المعلولية كانت السلسلتان منطابقتين في الوجود من دون
تعمل للعقل في ملاحظة انطباقهما ومع ذلك يوجب الحكم بتنافيهما
لزيادة وصف العلية من حيث ضرورة سبق العلة على المعلول فاذن
سلسلة المعلولات منقطعة قبل انقطاع العلل بواحدة والزائدة عليها
متناه ايضا ضرورة فيلزم تناهي السلسلتين جميعا

وبحيثية ترتيب ركز ... في اجتماع فالتناهي قد رمز
بين كل واحد والآخر ... لا التناهي لو يكن في الآخر
فهو المحصور بين الحاصرين ... من محال ذلك من دون مين
لا التناهي لو لم فيها اولم يكن ... فالتناهي لازم الكل فضن
ثم بعد اخذ جم من علل ... مثله المعلول من غير خلل
فبمعلول اخير ان اخذت ... للتضايف استهضن ما اتخذت
ان شهدت انت برهان الاسد ... فتشدد واحفظن لا تضد
كل معلول على غير فراد ... لا جرم بالثابت افرد الفراد

ثم برهان الترتب العجيب ... ان عنيت فبانشاء الاريب
كل معلول بما بعد العلل ... بعد فرض الانعدام في المحل
انتفاء كل فرد لازم ... احد فرد قديم جازم
وببرهان الوسط ثم الطرف ... بعد ترتيب فخذ دون الترف
كل معلول بما قبل الاخير ... فهو في وسط فلا بد النظير
سابق من غير مسبوق كرم ... بتنا هي الكائنات فالتزم

بعد ما ذكر برهان التطبيق على وجوهه اراد ان يذكر لمزيد الاطمينان
لبطلان التسلسل ساير ما ذكره القوم واستخرجوه من البراهين فمنها
برهان الحيثيات وهو منسوب الى افلاطون وخلاصته انه
اذا كانت حيثيات واعداد موجوده مترتبة كالحدود والمراتب
ومسافات ونقاط موجودة مترتبة في الوضع فبين اي حيثية فرض
وحيثية اخرى من الامور المترتبة على سبيل الاستيعاب والكلية اما
ان يكون اللاتناهي او التناهي وفي الاول لزم انحصار اللاتناهي
بين الحاصرين وذلك بديهي البطلان وفي الثاني يلزم تناهي الكل
ايضا لو وقع بين حيثيتين منها المعلولية والعلية مثلا واتماقيل

على سبيل الاستيعاب كيلا يلزم القدح بان الكل قد يخالف حكمه فيما
يأتي على الجزء مثل ان يبقى كل واحد واحد من ابعاض هذا المقدار دون
الذراع فهو ايضا دون الذراع فانه قد يصدق وقد يكذب فانه ربما
يكون ذراعا او اكثر فيكذب على الجملة ما يتناول ابعاضه واما على
سبيل الكلية فان بقي مثلا بين هذه النقطة الطرف واية نقطة
فرضت دون الذراع فالكل دون الذراع فاذا صح على الاحاطة
الاستيعابية ان مبدء السلسلة الى اي واحد من الترتيب وبلغه
الوجود متناه فقد صدق ان السلسلة بجملتها متناهية والضابط
ان الحكم اذا كان شاملا لجميع انحاء الوجود وتقاديره يجري
حكمه على المجموع من غير مرية وان كان مختصا بكل واحد واحد من الاحاد
كان حكم المجتمع من الاحاد غير حكم الاحاد فاذا كانت سلسلة وكان
كل واحد منها ابيض فالجملة ايضا ابيض واذا الكل جزء مقدارا فالكل
ايضا كذلك واذا كان كل جزء من الاجزاء مثلا غير منقسم لا يكون
الكل غير منقسم لان في تلك الانفراد مدخلا وتاثيرا كما ذكره بعض
المحققين ومنها برهان التضايف وتقريره انه لا شك في تحقق الا

الاضافة

الاضافة والعلية والمعلولية والسابقية والمسبوقية بين افراد
السلسلة المفروضة فاذا اخذت وتمسكت بالمعلول الاخير فهو
المسبوق من غير ان يسبق آخر فبمقتضى الاضافة يلزم ان ينتهي الامر
اليه الى سابق غير مسبوق وعلة غير معلول وهو المطلوب ويزيد
احد المتضايفين على الاخر بالعدد وهو مستحيل بالضرورة الفطرية
ومنها البرهان الاسد الاخصر المنسوب الى الفارابي وخلاصته
اشتراك جميع آحاد السلسلة المفروضة في عدم التقرر والوجود
في حد ذاته لا يتقرر سابق عليه ووجوده فجميع آحادها غير متقررة
ولا موجودة الا بتقرر موجود متقرر سابق على جميعها خارج
عن سلسلتها فانتهت بالضرورة الفطرية الى الواجب والا فمن
اين يتقرر شيء ما في تلك السلسلة حتى يتقرر شيء ما بعده منها بحسب
الترتيب وهو منسوب الى الشيخ الرئيس وحاصله استيعاب احتمال
تطرق انعدام كل واحد من آحاد السلسلة لاستيعاب المعلولية
اياها فبانتفاء كل واحد ينعدم ما بعده ولو لم يكن فيها علة غير
معلول انتفت جملة المراتب المعلولة لما ذكر من العلة ومنها برهان

الوسط والطرف وخلاصة تقريره ان السلسلة الغير المتناهية المفروضة ما بعد
المعلول الاخير استوعب كل واحد منها الوسطية والمعلولية بالنسبة الى ما
فوقها فلو لم ينته الى طرف لا يكون وسطا ولا معلولا للزم تحقق الاوساط
دون طرف وهو ضروري البطلان ثم اشار الى ما ذكره المحقق الطوسي قدس الله
سره القدوسي في نقد المحصل وذكره عنه جماعة بالمجمل والمفصل واللائق ذكر
كلامه بتمامه تيمنا بختم المبحث بمسك ختامه فقال الدليل الذي اعتمد عليه
جمهور المتكلمين في مسئلة الحدوث يحتاج الى اقامة حجة على امتناع وجود
حوادث لا اول لها في جانب الماضي فنورد اولا ما قيل فيه وعليه ثم اذكر
ما عندي فاقول الاوائل قالوا في وجوب تناهي الحوادث الماضية انه لما
كان كل واحد منها حادثا كان الكل حادثا واعترض عليه بان حكم الكل
ربما يخالف الحكم على الآحاد ثم قالوا الزيادة والنقصان يتطرقان الى
الحوادث الماضية فتكون متناهية فعورض بمعلومات الله ثم ومقدوراته
فان الاولى اكثر من الثانية مع كونهما غير متناهيين ثم قال المحصلون
منهم الحوادث الماضية اذا اخذت تارة مبتدأة من الآن مثلا ذاهبة
في الماضي وتارة مبتدأة من قبل هذا الوقت بالسنة الماضية ذاهبة في الماضي

واطبقت احديهما على الاخرى في التوهم بان يجعل المبدآن واحدا وهما
في الذهاب الى الماضي متطابقتين استحال تساويهما والا كان وجود الحوادث
الواقعة في الزمان الذي بين الآن وبين السنة الماضية زائدة على المبتدأة
من الآن لان ما ينقص من المتساويين لا يكون زائدا على كل واحد منهما فاذن
يجب ان تكون المبتدأة من السنة الماضية في جانب الماضي انقص من المبتدأة
من الآن في ذلك الجانب ولم يكن ذلك الا بانتهائها قبل انتهاء المبتدأة من
الآن ويكون الانقص متناهيا والزائد عليه بمقدار متناه متناهيا فيكون
الكل متناهيا واعترض الخصم عليهم بان هذا التطبيق لا يقع الا في الوهم
وذلك يكون بشرط ارتسام المتطابقين فيه وغير المتناهي لا يرتسم في الوهم
ومن البين انهما لا يحصلان في الوجود معا فضلا من توهم التطبيق فيهما
في الوجود فاذن هذا الدليل موقوف على حصول ما لا يحصل لا
في الوهم ولا في الوجود وايضا الزيادة والنقصان انما فرض في الطرف
المتناهي لا في الطرف الذي وقع فيه النزاع في تناهيه فهو غير مؤثر
فيه فهذا حاصل كلامهم في هذا الموضع وانا اقول ان كل حادث
موصوف بكونه سابقا على ما بعده وبكونه لاحقا بما قبله والاعتباران

مختلفتان فاذا اعتبرنا الحوادث الماضية المبتداة من الان تارة من حيث
كل واحد منها سابق وتارة من حيث هو بعينه لاحق كانت السوابق
واللواحق المتباينتان بالاعتبار متطابقتين في الوجود ولا يحتاج
في تطابقهما الى توهم تطبيق ومع ذلك يجب كون السوابق اكثر
من اللواحق في الجانب الذي وقع النزاع فيه فان اللواحق متناهية
في الماضي لوجوب انقطاعها قبل انقطاع السوابق والسوابق الزائدة عليها
بمقدار متناه متناهية ايضا هذا خلاصة ما ذكره علماء الفن في هذا
المقام وسلامة كل واحد منها كاف في حصول الاطمينان فاختر لنفسك
منها ما يورث لك الايقان ولا تلتفت الى ما قيل في كل منها او عليها مما افضى الى التطويل كما ليس بمحل الاستعجال والله اعلم

الكلام في اثبات حدوث العالم ونفي القدم

عالم الامكان مسبوق العدم ... ما له حظ وجود في القدم
ما سوى الرب جميعا حادث ... وهو الباقي لكل وارث
انه قد ابدع كل الوجود ... ممكن ليس له فيض وجود
هو قبل القبل فيما لم يزل ... هو بعد البعد فاسمع ما نزل

كل شرع ذاك فيه قد ورد ... لا خلاف عندهم اذ لا مرد
من ضروري لدين الانبياء ... لم يحرف قط حتى الاشقياء
رؤساء الحكمة قد وافقوا ... وبعقل شرعهم ما شاققوا
قبل افلاطون سقراط حليم ... وانكسا غورس ثاليس الحكيم
وانكسيمانيس قال قولهم ... قد مشى انباذقلس ما حولهم
بعد فيثاغورس ثم جل كل ... واتفقوا في القول اصحاب الملل
قال صدر الدين بحر المعرفة ... بعد رسطاليس ذا مستطرفة
في حدوث القول اثبات الحدوث ... ما سمعت عن ودع عنك البحوث
لو يكن حقا اتوه بالبيان ... ودلالات وتبيان اللسان
رفض تصريح وتصريح الخلاف ... نقض حكم ذاك عند الانصاف
بعثة المبعوث حقا للرشاد ... لا لصرف العبد عن صوب المراد
ان هذا مثل برهان الاسد ... فاتخذ اهبة فيما صدد

لما فرغ من اثبات الواجب تعالى شانه وضرورة وجوده شرع في اثبات حدوث
العالم بمعنى ما سوى الله تعالى وانه بجملته وجميع افراده محدث بعد
ما لم يكن نوعا وشخصا ذاتا وصفاتا والمراد بحدوثه نوعا دفع

متناهي العوالم في الازل يعني لم يكن قبل هذا العالم عوالم آخر الى غير
نهاية والمراد بالحدوث الشخصي سبق العدم على هذا العالم وجزئيات
على درجاته المتنوعة واجناسه المتشعبة المتشتتة قال العلامة الحلي
ره في بحث حدوث الاجسام من النهاية القسمة العقلية في هذا
الباب منحصرة في اقسام اربعة الاول ان يكون العالم بالذات و
الصفات محدث وهو مذهب المسلمين وغيرهم من ارباب الملل وبعض
قدماء الحكماء الثاني ان يكون قديم الذات والصفات ونسبة الى
جماعة الحكماء والثالث ان يكون قديم الذات محدث الصفات
ونسبة ايضا الى جمع آخر منهم والرابع ان يكون قديم الصفات
محدث الذات ولم يقل به احد وهذه المسئلة لما كانت من اعظم
الاصول الاسلامية للفرقة الناجية الامامية رضوان الله عليهم
اجمعين حتى قال صدر المحققين ره انها ركن عظيم من معارف
الايمان لا يجوز الاكتفاء فيه بالتقليد من دون الايقان الحاصل
بالبرهان فلا بأس ان نبسط فيه شيئا من البسط مستعينا من مالك القبض
والبسط فاعلم ان الذي يستعلم من تتبع كلمات العرب وتصفح كتب اللغة

المستغرب وتفحص مستعملات الالفاظ بدقة الالحاظ ان الايجاد
والاحداث والخلق والفطر والابداع والاختراع والصنع
والابداء لا يطلق كل واحد منها الا على اعطاء وجود بعد عدم
خارج صريح وانقطاع الوجود في الازل عنه ولهذا اللسان
الشايع خاطب الله عز وجل الخلق وكلفهم بما يعقلون ليكون
حجة عليهم في تضييع ما ضيعوه كما نص به الرضا عليه السلم قال
المحقق الطوسي قدس الله سره القدوسي ان اهل اللغة فسروا
الفعل باحداث شيء وقال ايضا الصنع ايجاد شيء مسبوق بالعدم
وفي اللغة الابداع الاحداث وفسروا الخلق بابداع شيء بلا مثال
سابق وفي كتاب الملل والنحل عن ثاليس الملطي انه قال الابداع
تاييس ما ليس بايس فاذا كان هو مؤيس الايسات فالتاييس
لا من شيء متقدم ثم ان القدم والحدوث يطلقان على معان
لا بد من تفسيرها لينقح موضع النزاع فيهما فاعلم ان لفظ الحدث
قد وقع بالاشتراك اللفظي على معان اربعة الاول ما كان زمان

وجوده قصيرا ويقابله القديم وهو ما طال زمان وجوده كما يقال
هذه الدار قديمة وهذه حديثة وقد يق بالقياس الى غيره فيق في
الحادث ان ما مضى من زمان وجود عمرو وفي القدم بعكس ذلك
الثاني ما سبق وجوده الثاني زمان لم يكن موجودا فيه ثم حدث بعده
ويقابله القديم وهو الذي لم يسبق وجوده زمان الثالث ما تأخر
وجوده عن وجود غيره تأخرا ذاتيا وبازائه القديم الذي يتقدم
على غيره بالذات والرابع المحدث ما انقطع وجوده عن جانب
الازل والقديم بخلافه ولا نزاع بين العلماء الباحثين في هذا
المغزى في صحة القدم بالمعنى الاول على العالم وكذا الثاني لما قد
تحقق ان الزمان مقدار الحركة وهذا المقدار يمتنع وجوده قبل
حركة الفلك فلا يتحقق الزمان ولا للفلك الحادث الزماني بهذا
المعنى المستلزم تقدم الشيء على نفسه فلذا قال ارسطو في اثولوجيا
لا ينبغي لسامع القول الفيلسوفي يعني به افلاطون ان ينظر الى اللفظ
فيتوهم عليه انه قال ان الباري تعالى خلق الخلق في زمان فانه انما
اضطر الاولون الى ذكر الزمان في بدء الخلق لانهم ارادوا وصف كون

الاشياء

الاشياء فاضطروا ان يدخلوا الزمان في وصفهم الكون في وصف الخليقة
التي لم يكن في زمان البتة لان المرء اذا اراد ان يبين العلة اضطر الى
ذكر الزمان لانه لا بد للعلة ان يكون قبل المعلول فيتوهم المتوهم ان
القبلية هي الزمان وليس كذلك انتهى ومن اجل ذلك كما افاده بعض
العلماء وقعت الالفاظ الموهمة للزمان في كلام الشارع صلوات الله
وسلامه عليه ولا خلاف ايضا بين الالهيين من الحكماء والمليين في نفي القدم
عن العالم بالمعنى الثالث وثبوت الحدوث له بذلك المعنى وانما الخلاف
فيه من الدهرية المنكرين للصانع الزاعمين كون العالم بالبخت والاتفاق
فبعد ما تقدم من قيام البراهين العقلية والدلائل البرهانية المتينة
على اثبات الصانع والواجب الوجود بالذات تعالى شانه اضمحلت شبهاتهم
السخيفة وقد دل عليه الانبياء والكتب المنزلة والالهيون من الحكماء
سيما ارسطو كما يستفاد من كلام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل
وبقي الرابع وهو محل النزاع وان اغفل عنه جماعة من العلماء فالمليون
قاطبة من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين على ما نقله جم غفير
من علماء الفريقين الخاصة والعامة على حدوثه بهذا المعنى شخصا ونوعا

ومن ذلك ما نقل عن الشهرستانى في كتاب نهاية الاقدام انه قال
مذهب اهل الحق من الملل كلها ان العالم حادث مخلوق له اول احدثه
البارى تعالى وابدعه بعد ان لم يكن كان الله ولم يكن معه شيء وقال
المحقق الدوانى في انموذجه ذهب اهل الملل الثلث الى ان العالم بمعنى
ما سوى الله تعالى وصفاته من الجواهر والاعراض حادث اى كائن بعد ان لم
يكن بعدية حقيقية لا بالذات فقط بمعنى انها في حد ذاتها لا يستحق الوجود
فوجودها متأخر بحسب الذات كما يقوله الفلاسفة ويسمونه الحدوث
الذاتى وبهذا المعنى صرح جمع كثير من علمائنا كالمحقق الطوسى و
العلامة الحلى والشيخ الطوسى والشيخ الكراجكى وابى الصلاح
الحلبى وابن زهرة في الغنية والسيد الداماد وتلميذه الفاضل مولانا
شمس الجيلانى والمحقق الاردبيلى وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم
فانهم متفقوا اللفظ والمعنى قائلون بالحدوث بالمعنى المذكور المشهور
حتى صرحوا كثير منهم بتكفير من خالفهم في القول منهم الصدوق في كتاب
التوحيد وشيخنا المفيد والسيد المرتضى وتلميذه الكراجكى والسيد الداماد
وصدر المحققين والمحقق المجلسى في شرح الفقيه والعلامة الحلى بل نقل

نفى الخلاف

نفى الخلاف عن ذلك وحكم بان حكمه في الآخرة حكم ساير الكفار وقال
العلامة في بعض اجوبة السيد مهنا بن سنان ان الموجب للتكفير
هو اعتقاد قدم الجوهر وقال السيد في الجواب عمن ساله فيمن يعتقد
التوحيد والعدل ولكنه يقول بقدم العالم ما يكون حكمه في الدنيا
والآخرة فاجاب قدس سره من اعتقد قدم العالم فهو كافر بلا خلاف
لان الفارق بين المسلم والكافر ذلك وحكمه في الآخرة حكم باقى
الكفار بالاجماع وفي القبسات ان القول بقدم العالم نوع شرك
والحاد ولنعم ما قاله الفاضل المولى ابرهيم الخراسانى في فوايده
بعد ما نقل اتفاق اهل الملل انه مع وقوع تحريف غير المسلمين
من اهل الكتاب كتابهم وتغييرهم لدين نبيهم ما قدروا على تغيير
هذا الاصل وتحريفه بل بقوا عليه الى اليوم مصرين عليه وما
بلغ هذا الحد كيف يمكن التفوه بخلافه والاقدام على ايراد الشبه
الموردة للتشكيك فيه مع كوننا مقيدين بالشرايع والاديان و
فرضنا التصديق بها فكيف بما علمنا ثبوته من جملة الانبياء من لدن
آدم الى الخاتم قال للمتكلم ان يقول للحكيم ما تقرر عندكم من قدم العالم

مخالف لاجماع الانبياء والماصار من ضروريات الدين وقال بعض
المحققين في رسالة الحدوث ان مذهب اهل الدين بل اهل
الملل الثلث ان العالم بمعنى ما سوى الله تعالى وصفاته واسمائه حادث
اي موجود بعد ان لم يكن بعدية حقيقية وتاخرا زمانيا لا
ذاتيا فقط بمعنى انه مفتقر الى الغير متاخر عنه في حد ذاته كما هو
شان كل ممكن بحسب الذات وهو عدم استحقاقه الوجود في
نفسه ومنهم وان كان ممن التزم دين الاسلام لكنه يعتقد
قدم العالم ويظن ان ما ورد في الشريعة والقران واتفق عليه
اهل الاديان ما ذكره من المعنى ثم قال وذلك القول في
الحقيقة تكذيب للانبياء من حيث لا يدري ولا يتخلص
قايله ولا يامن من التعذيب العقلي والحرمان الابدي لان الجهل
في الاصول لا يعذر اذا كان مشفوعا بالرسوخ يوجب العذاب
الروحاني في دار المآب ونسب القول بالقدم الى جماعة لنشاء
وابعد الفيلسوف الاعظم ارسطاطاليس ونسب الفارابي الى القصور
في بلوغ شأو الاساطين الاقدمين وهذا هو المنقول عن افلاطون

الالهي

الالهي وسقراط وثاليس الملطي وانكساغورس وانكسمالينس وفيثاغورس
وانباذقليس وجماعة من الاوايل على ما ذكره الشهرستاني في كتاب
الملل اعيان كلماتهم ولا كثير حاجة بنا الى تفاصيل ذكرها بل يعلم
النسبة الى هؤلاء السبعة السيد الداماد ره في القبسات من الضالذع
الصحيح المتواتر وذكرها بعض المحققين في رسالته مفصلة مع
بيانها وقد نسب الخلاف واحداث القول بالقدم بهذا المعنى
الى ارسطاطاليس وانه خالف القدماء وتابعه جماعة من تلامذته
وتابعهم من المتاخرين الفارابي وجماعة ممن تاخر عنه ومال اليه الشيخ
الرئيس وممن شيد بنيانه الشيخ المقتول في حكمة الاشراق وانما
لم ينسب القول الصريح بالقدم الى الشيخ الرئيس مع ان تلك
النسبة اليه مشهورة من اجل تعمق النظر في عباراته واشاراته
بعد ما نقل مذهب الفريقين في الحدوث والقدم قال فهذه هي
المذاهب واليك الاختيار بعقلك دون هواك بعد ان تجعل
واجب الوجود واحدا ومن هذه العبارة وان لم يظهر ميله الى
شيء من الطرفين الا ان في تقرير ادلة الطرفين يستعلم ميله الى

القدم ولكن كلامه في التعليقات مما يرجح الطرف الآخر فانه قال في بيان
اقسام التقدم في المكان ان تضع رتبة مثال رتبة الملك فيكون كل من
هو اقرب اليه يكون اشد تقدما عليها وفي الزمان ان نفرضه فكل زمان ابعد
من ذلك يكون اشد تقدما وتقدم الباري على العالم هو تقدم بالوجود با
القياس اليه لان الوجود ثالث بل هو نفسه وانما نفرضه في نفسك ثالثا
انتهى كلامه والمستفاد من قوله وتقدم الباري على العالم تقدم بالوجود ان
وجوده اسبق من وجود جميع العالم لما ثبت من انتفاء الوجود
الذهني له سبحانه فبقي ان يكون تقدمه عليه باعتبار الوجود الخارجي
الذي هو عين ذاته وذاته عين وجوده الخارجي فيجب ان يكون التقدم
الثابت للذات ثابتا للوجود الخارجي ايضا لما ثبت من الاتحاد بين الذات
والوجود فيكون تقدمه منحصرا بالوجود الخارجي كما عرفت واذا كان
وجوده متقدما على وجود المعلول تقدما خارجيا انفكاكيا فيجب ان
يكون جميع معلولاته حادثا مسبوقا بالعدم فلا يكون معلول من معلولاته
ازليا وقد سبق في اثبات الحدوث على هذا المنوال السيد الداماد في
اكثر كتبه كما ذكره تلميذه الفاضل مولانا شمس الجيلاني

وقال

وقال صدر المحققين ايضا ان القول بقدم العالم انما نشأ بعد المعلم
الاعظم ارسطاطاليس من جماعة رفضوا طريقة الربانيين والانبياء وما سلكوا
سبيلهم بالمجاهدة والرياضة والتصفية وتشبثوا بظواهر اقاويل الفلاسفة المتقدمين
من غير بصيرة ولا مكاشفة فاطلقوا القول بقدم العالم وهكذا اوساخ الدهرية
والطبيعية حيث لم يقفوا على اسرار الحكمة والشريعة لشدة رسوخهم
فيما اعتقدوا من قدم العالم وزعمهم ان هذا مما يحافظ على توحيد الصانع
وعن انثلام الكثرة والتغير على ذاته وان قياسا تاما بنيته على مقدمات
ضرورية هي مبادي البرهان ويؤيد كلامه ما نقله الشهرستاني في كتاب
الملل والنحل عن ارسطاطاليس وسيجيء نقل كلامه في جواب سؤال بعض
الدهرية بعينه عند ذكر الاخبار الواردة في هذا الشأن انشاء الله ذو
المن والامتنان وقال ايضا في ذلك الكتاب عند ذكر شبهة ابرقلس في
قدم العالم ان القول بقدم العالم وازلية الحركات بعد اثبات الصانع
انما ظهر منه بعد ارسطاطاليس لانه خالف القدماء صريحا وابدع هذه
المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانا فتبع على منواله من كان من تلامذته
ومثل ذلك منقول عن كتاب المصارعة واستحسنه المحقق الطوسي في

مصارع المصارع بل نقل في الملل عن بعض المتعصبين لابرقلس انه ذكر
ما ذكر في مقام الجدل لا لبيان الحق ولتشحيذ الاذهان لا في مقام الا
عتقاد والاذعان واشتبه كلامه مثل كلام ارسطو اسناده على بعض ا
الناس ونقل المحقق المولى عبد الرزاق في شرح تجريد العقايد ايضا عن
ارسطو ان المسئلة قد يكون جدلية بكلا طرفيها لفقدان الحجج البرهانية في
طرفيها وعد من ذلك مسئلة العالم حادث ام ازلي وهذا نقل السيد الاجل
الداماد عنه ايضا وبمثله حكم الشيخ الرئيس في كتاب فن الجدل من الشفا وان
ذهل عنه عند الكلام فيها فزعم قيام البراهين العقلية عليها وتعجب السيد
بعد نقل هذا الكلام عنهما في بعض مباحث القبسات بل يظهر من كلام
السيد السند بل الاجل المبرز رفيع الدين النائيني في تعليقات الكافي تحقيق
وجه يرتفع النزاع به بين المتكلمين والحكماء الالهيين فانه قال
ان كل معلول متاخر عن ذاته سبحانه وهو مبدءه الذي يفيض
الوجود عليه وهو سبحانه اجل من ان يحاط به او زمان وهذا
الانقطاع في الوجود اذ ليس الا انقطاع الزمانيات بعضها من بعض
كان العلة المتقدمة على المعلول كتقدم المتقدم بالزمان حتى لو كانا

وزمانيتين

زمانيتين سبحانه وتعالى عن ذلك لكان المبدء متقدما بالزمان على معلوله
الصادر عنه وليس كالانقطاع والانفصال بين ما هو لاحق بالوجود
من آخر فان الانفصال ههنا في استحقاق الوجود ومرجعه الى احقية
ما وهناك في نفس الوجود ومرجعه الى الاخراج من العدم الى الوجود
فالانفصال بين وجود المبدء الموجد المتعالي عن نسبة التقدم والامتداد
وبين وجود موجده الصادر عنه اراده التعبير به العبارة بالانفصال
الزماني بين المتقدم والمتاخر الزمانيين اذ لا عبارة اقرب اليه منها ولتعا
ليه سبحانه عن الدخول تحت الزمان قال وهذا هو الذي يعبر عنه
عند التعبير عن حال المتاخر بالحدوث الذاتي عند الحكماء لعدم مدخلية
الزمان هناك وبالحدوث الزماني عند محققي المتكلمين لاحقيته بهذا
التعبير دفعا للاشتباه بالانفصال باحقية الوجود انتهى ولعل الى مثله
اشار العلامة المحلي اية الله في العالمين نقلا عن المتكلمين انهم قالوا معنى
كون الله قديما انا لو قدرنا ازمنة لا نهاية لها لكان الله تعالى موجودا
معها باسرها ولا يحتاج هذا المعنى الى تحقق الزمان ووجوده بل تقديره
وجوده فصح ثبوت التقدم للمتقدم بهذا المعنى بانفكاك وجود المتاخر

عن وجود المتقدم وانفكاك وجود المتأخر معدوماً لانه لو كان موجوداً
يلزم المعية ويبطل التقدم في الوجود فلا بد في التقدم من امرين احدهما
انفكاك المتأخر عن المتقدم وثانيهما عدم المتأخر فيما ثبت المتقدم فيه و
يمكن تطبيق الكلام المتقدم لارسطو في اثولوجيا ايضاً على تحقيق سيد
المحققين المتقدم فتبين مما ذكر ان ما ذكره الغزالي في تهافت الفلاسفة من
نسبة القول بالقدم الى جماهير الحكماء المتقدمين والمتأخرين وان هذا
مذهب جميعهم الا الشاذ النادر مما نسب الى افلاطون وتوقف
جالينوس تهافت منه لظهور خلافه ويؤيده مما ذكره الشارستاني في
كتاب الملل من اجماع الحكماء على الحدوث المتنازع فيه الا ما شاع من
ارسطو وجمع من تلامذته كما تقدم وقد عرفت معارضة ذلك
ايضاً بنقل خلافه ولا حاجة بنا الى خلافهم ووفاقهم بعد شهادة العقل
والنقل على خلاف ما نسب اليهم والغرض ما ذكره من ذكر اتمام الحجة
على اشياعهم واتباعهم المنزلين منزلة الانبياء منازلهم وعلى اي تقدير
فلا ريب في ظهور القول بذلك عن جماعة من متأخري الحكماء ومن
قلدهم واغتر بكلامهم فان اكثر المحققين في رسالة اثبات الحدوث جمهور الفلاسفة

الذين هم

الذين هم من اتباع المعلم الاول كابي نصر وابي علي ومن بعدهما وامثالهما
ذهبوا الى ان الاجرام الفلكية والكوكبية بنفوسها وقواها وطبايعها
قديمة وكذا اعراضها من الايون والمقادير والالوان والاشكال
والاوضاع الكلية وذهبوا الى ان تخيلاتها ايضاً قديمة وبعضهم
يثبتون لها بسبب استخراج الاوضاع الممكنة من القوة الى الفعل كمالات
واشراقات تفيض على نفوسها من مباديها العقلية لكن اكثرهم على ان
جميع صفاتها وكمالاتها حاصلة بالفعل الا الاوضاع الجزئية حتى
انهم صرحوا بان المقصود لها نفس الحركة اذ بها يتم التشبه بمباديها التي
هي مبرأة من شوائب القوة كلها قالوا لان السموات كاملة بالفعل من حيث
الذات وساير الصفات والكمالات الا فيما يتعلق بالحركة الوضعية
من خصوصيات الاوضاع الجزئية فانها لا تحتمل الجميع بين الاشخاص
الكل على نهج الثبات بل على نهج التبدل فكلما خرج من القوة الى الفعل
بقي القوة والامكان لغيرها من الافراد الغير المتناهية فاستحفظ
نوعها بتوارد الاشخاص تتميماً للتشبه بالمبادي العالية التي هي
بالفعل من جميع الجهات بقدر الامكان ولما كان التشبه لازماً للحركة

جعلوها الغاية المطلوبة باعتبار الملازمة وكذا ذهبوا الى ان مادة
العنصريات قديمة بالشخص ومطلق صورها الجسمية والنوعية
ومطلق الكيفيات والاعراض قديمة وهذه كلها من الفلسفة العامية
التخمينية التي فيها نوب زيف فنقد وتشابك حق وباطل انتهى كلامه
ده ولعل من نسب كل ما قالوه في امثال هذا المقام الى الوهم والخيال
المثمرة لصدور الجزاف من الكلام لم يكن مجازفا عند اولوا الالباب
وعلى اي تقدير فاللازم بعد شيوع الشبه والشكوك اداءة طرق
الفكوك بعناية فيض ملك الملوك فينبغي اتفاق الدليل العقلي
واعتضاده بالنقل ولما كان الاجماع مركبا منهما فان له مشربا من كل
منهما ينبغي الابتداء به وقد عول في هذه المسئلة جمع كثير عليه
والتمسك به من وجهين الاول من حيث اجماع الانبياء عليهم السلم
عليه والغرض ان بيان المسئلة عندهم مما لا يعتريه احتمال النسخ كما
في ساير المسائل الاصولية ولا يعرضه ريب شبهة ولا يختلط باحتمال
تحريف بعدهم كما وقع في كثير من شرائعهم والا فقول واحد منهم
في الاصول الثابتة مثل قول جميعهم ولا حاجة بنا الى تجشم اجماعهم

اذ كلامهم عارض شوايب الوهم والخيال الناشي عن العقل الصريح والوحي
الالهي في كل حال والثاني من اجماع العلماء خصوصا اصحاب الشريعة
الغراء الكاشف طباقهم عن قول معصوم من الزلل من غير خلل فيقال
في الاول على طريقة البرهان حدوث العالم بمعنى مسبوقيته بالعدم الواقعي كما
بادة وانقطاع وجوده من الازل مما اخبر به الانبياء وكل ما اخبر به الانبياء
فهو حق فحدوث العالم حق ولما كان الكلام الآن مع جماعة يذعنون
بالانبياء فلا نحتاج الكبرى الى البيان وبيان الصغرى بالتواتر
الشايع الذايع الواصل الينا ابدا الى اصحاب الشرايع ولو كان من ارباب
التواتر المغني كسائر امور المتواترات من الحوادث الكائنات والشرايع
الواقعات ولا ريب ذلك من لا يريب في المتواترات نعم يجب ان يخلي نفسه
اولا ويتفحص عن الاخبار والآثار حتى يفيد التواتر له اليقين ثانيا وليست
هذه المسئلة باقل من بعض حكايات رستم واسفنديار المفيدة لما
لا يختلجه شك ولا ارتياب عند اولي الابصار ومنكر امثاله لا يليق الا بان يعرض
عنه صفحة الخد والجبين ويطوى عنه الكلام فانه ظنين هذا مع علم حاجتنا
الى تصحيح كلماتهم وتتبع مقالاتهم لعدم ظهور قول خاتمهم وصفوتهم ولو

عرض لبعض الاذهان والاوهام لرسوخ الشبهات الواهية ولا يحصل له
اليقين فلا اولى من الظهور وبه يتم البرهان ويسطع النور وسيجيء مزيد
بيان لذلك انشاء الله المشكور ولما خفي مقالات السادات القادات
في هذا الباب على كثير من الطلاب كما قد يخفى الشيء لغاية ظهوره عند الطلاب
فلا باس بايراد ما ورد فيها سيّما ذكر من باب التنبيه فيما لا يحتاج الى اعمال الفكر
وقد انتزعته بخلاف الاسانيد عما علقته في سالف الزمان بعناية الملك المنان
في رسالة معمولة فيما ورد عنهم عليهم السلام كما انه دليل نقلي ايبان البرهان
عقلي صدر عن لب لعقل بلغ اللب فلهم الانوار العقلية والمثل الالهية وتبيان
بيانهم تستضاء الادواح المطهرة وتضمحل الشبهات الواهية وسياق الاجماع
من الوجه الثاني ان تلقي الحدوث بالمعنى المذكور مما قد اجمع عليه
علمآء امة محمد صلى الله عليه وآله وكلما اجمع علمآء عليه الامة فلا ريب
فيه فحدوث العالم لا ريب فيه وسيجيء بيان الصغرى وبيان الكبرى مبين
في كتب الاصول وقد وضحت مبانيه وبينته بحججه ومعانيه بعناية الله سبحانه
في فواتح رسالة حل الطهر في يوم الجمعة فليراجعها من اراد الاطلاع
عليها وعلى هذا المنوال يمكن ان يصاغ البرهان من اجماع علمآء اهل البيت

عليهم السلم ايضا الذين قد صدرنا الوصية عن المعصومين ع بالاخذ عنهم و
الاقتداء بهم لا بغيرهم فلا بد ههنا من بيان سند الاجماعين من الكتاب
والسنة الخالين عن كل مين ولنبتدئ بكتاب الله الكريم والذكر الحكيم
قال الله سبحانه في محكم كتابه لاولي النهى والاشراف في سورة الاعراف
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم على
العرش ومثله في سورة يونس ع وفي سورة هود ع هو الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا
وفي التنزيل الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش وفي سورة ق ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام وما مسنا من لغوب وفي الحديد هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش وجه الدلالة منها بعد استنطاقها دلالة
الخلق على ايجاد ما سبق وجوده العدم الواقعي الخارجي واضح اذا
الحادث في اليوم الاخير مسبوق بزمان معدود منقطع الوجود
وهو خمسة ايام والسابق مسبوق بزمان متناه فيكون حادثا منقطع
الوجود في جانب الازل والظاهر ان المراد بتلك الايام مقدار ستة ايام فلا

يرد ان اليوم انما يحصل بحركة الشمس فكيف يكون قبل خلقها او ينافي
المناط في تقديرا الايام حركة الفلك الاعلى وكان قبلها او ان المراد
بالايام الاوقات بناء على الزمان الموهوم منتزع من بقاء الواجب او الا
دوام على القول بتقدمها على عالم الاجسام او الملئكة على ما هو ظاهر
بعض الاخبار وتحقيق ان اليوم هل هو من ايام الدنيا او من ايام الاخرة
وكل يوم الف سنة مما تعدون وبيان العلة الخلق في تلك المدة مع
قدرته سبحانه على خلقها في اقل من طرفة عين ليس من بابه حاجة بنا الى
تحقيقها هنا وتاويلها الستة احوال بناء على ان السماء والارض وما
بينهما ثلثة ولكل منهما ذات وصفة كما فعله الرازي وكذا ما ذكره بعض
اهل التاويل وهو ان يكون الخلق فيها بمعنى الاحتجاب فقوله خلق
السموات والارض وما بينهما اي احتجب لها في الايام الستة الالهية
التي هي مدة دور الخفاء من لدن آدم ع الى دور محمد ص تكلف
بعيد مستغنى عنه ولنعم ما قال له صدر المحققين وقطب العارفين في تفسير
هذه الاية بعد ذكر هذا التاويل ان خروج الالفاظ القرانية عن
معانيها المتعارفة المشهورة يوجب تحير الناظرين فيها والقران نازل

لهداية

لهداية العباد وتعليمهم وتسهيل الامر عليهم مهما امكن لا ارشادهم الى التعقيد
والاشكال فيجب ان يكون اللغات محمولة على معانيها الوضعية المشهورة
بين الناس لئلا يوجب عليهم الالتباس انتهى كلامه ره فيجب التثبت على هذه
القاعدة الا ان يقوم برهان قاطع للعذر وضرورة ملجئة صارفة
عنها وانت خبير بان لا ضرورة ههنا ان لم يكن على خلافها كما ستطلع
عليها ومما يدل من الايات على المطلوب كل ما دل على انشقاق السموات
وانفطارها وطيها وانتثار كواكبها فانها اذا كانت قديمة لما جاز على
قواعدهم من ذلك عليها ومما يؤيد البنيان قول امير المؤمنين عليه السلم
في بعض خطبه لا يقال له كان بعد ان لم يكن فيجري عليه صفات المحدثات
ولا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع
ويتكافؤ المبتدع والبديع وهذا الكلام كما نبه به الوالد العلامة ره دال
على ان توهم كون تقدمه تعالى على العالم بالزمان حقيقة او بالذات يعني
احقية الوجود كتقدم حركة اليد على المفتاح كلاهما زيغ وضلال
وقوله فيها ايضا مستشهد بحدوث الاشياء على ازليته وخبر الدلالة
من امثاله من حيث ظهور الحدوث بالمعنى المشهور اعنى انقطاع الوجود في

الازل عند اطلاق اللفظ لغة وعرفا ولا يحمل الالفاظ الواردة فى الشريعة
المقدسة على المعانى المصطلحة المستحدثة خصاصا عند غير اهل الشريعة
سيما بعد التصريح بخلافه فى اخبار مستفيضة وبافادة الجمع المحلى للعموم
يفيد جميع ماسواه وفى الكافى عن ابى عبد الله ع قال قلت لم يزل الله
مريدا قال ان المريد لا يكون الا المراد معه لم يزل الله عالما قادرا ثم اراد
وفى رواية اخرى فى الكافى والتوحيد والاحتجاج عنه معاذ الله ان
يكون معه غيره وفى روايات مستفيضة من طرق العامة والخاصة
ان الله تع كان ولا شيئ غيره وفى بعضها كان الله ولم يكن معه شيئ و
النكرة فى سياق النفى مفيدة للعموم وفى كتاب التوحيد فى حديث
كون القرآن محدثا كان الله ولا شيئ غير الله لا معروف ولا مجهول
وكلمة كان اذا استعمل فى الله سبحان الله فهى منسلخة من معنى
المضى اذ هو تعالى شانه اعلى من ان يحيط به زمان او يحويه مكان فانه
خالقهما وبارئهما ومحيط بكل شيئ وتاويل ما ورد فى هذا المعنى ينبغى
بشئ فى مرتبة ينبغى فاين التعبير بتلك العبارة الموهمة لخلاف المدعى
ولا اقل مع انه ص مبعوث بجوامع الكلم ومنعوت من بين ولد

آدم بانه ابلغ وافصح من تكلم وتنزهه سبحانه عن اصناف الزمان والدهر
منصوص فى اخبار كثيرة كقول على عليه السلام فى بعض خطبه ما اختلف
عليه دهر فيختلف منه الحال وفى كلامه ع لم يسبق له حال حالا فيكون
اولا قبل ان يكون آخرا وعنه عليه السلام لم يختلف عليه وقت والليالى
والايام وهو له لا يزال وحدانيا ازليا قبل بدء الدهور وبعد صرف
الامور لا تضمنه الاوقات وقوله سبق الاوقات كونه وعنه عليه السلام
انه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شئ معه كما كان قبل ابتدائها
كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت
عند ذلك الاجال والاوقات وزالت السنون والساعات فلا شئ
الا الواحد القهار الذى اليه مصير جميع الامور قال اولى الالباب العلامة
ره قبل تحقق العالم بمعنى ما سوى الله ليس شئ الا الله تعالى و
تحقق الزمان بتحقق العالم ومع هذا لا يمكن العقل ولا الوهم الوصول
الى ساحة كبريائه ولا توهم انه لا فاصلة بينه وبين العالم سوى العدم
الغير المتقدر بالزمان فان هذا التوهم باطل لتنزه جنابه سبحانه عن ان
يكون طرفا والعالم طرفا آخر والعدم فصلا بينهما بل كلما سار بك العقل

وطاير طاير الوهم لا يخرج من الزمان ولا يمكنه الخروج منه لان
المخلوقات كلها حادثات بعد ان لم يكن ودزمانية البقاء ولا يمكن
للزماني الوصول الى ما ليس بزماني اذ لا يمكنه قطع مسافة الزمان
وطيه فكلما سار وطار ليشاهد زمانا من نفسه وفي نفسه ولا يمكنه
الخروج منه فكلما ذهب لم يصل الى ما ليس في زمان سيتوهم ان عدم
وصوله اليه انما نشاء من عدم تناهي الزمان الفاصل وليس الامر
كذلك بل انما نشاء من ان نفسه زمانية فعلى فرض تناهي سيره و
طيرانه يكون زمانه ايضا غير متناه ومع ذلك لا يمكنه الوصول
الى ساحة كبريائه فانه فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى بل لا حد و
طرف لهذه النسبة ايضا فلا يمكن للمخلوق الوصول الى ساحة كبريائه
لكون المخلوق زمانيا وزمان قدسه منزه عن الزمان فانه خالق
الزمان والزمانيات واما فيضه وفضله فهو واصل الى المخلوقات
لا في زمان لانه ليس بزماني وفوق الزمان ونظير الاستمرار الزماني
البعد المكاني فان ذو المكان بمعنى البعد لا يمكنه الخروج عن
المكان وان فرض نفسه فوق الافلاك الاعلى حيث لا مكان ولا بعد

لان نفسه لا يخرج من البعد لا ان هناك بعدا فالزمان الموهوم
الغير المتناهي موهوم من وهمنا قبل العالم ومنشأ انتزاعه هو
انفسنا لكوننا زمانيين لا يمكننا الخروج منه لا ان بقائه
تعالى منشأ لانتزاع هذا الامر المستمر المتغير هويته وذاته المتعالية
وتقدسه عن توهم التغير فيه بوجه ولهذا عبر بعض المحققين من علمائنا
قدس الله اسرارهم عن هذا المعنى بالزمان التقديري فبهذا استبصر
امرات في حدوث العالم مع تنزه جناب قدسه عن ان يكون زمانيا
وهذا غاية ما يمكن لعقولنا ان يفهم من معنى تقدمه تعالى على العالم
مع تنزه جناب قدسه واما كنه هذا النحو من التقدم فلا يمكن لل
للعقول فهمه كما دل عليه كلام امير المؤمنين عليه السلام وهذا التعبير
اولى واقرب الى الادب من التعبير الذي عبر به المحقق الطوسي قدس سره
وغيره من انه باعتبار المقايسة بالزمانيات وبالجملة تقدمه تعالى
على المخلوقات نحو اخر غير مفهوم لعقولنا بكنهه كما ان معيته تعالى مع
الاشياء بل كل صفاته المقدسة كذلك انتهى كلامه اعلى الله في مراتب
القدس شانه وهو في غاية الجودة ونهاية المتانة على حد وفق كل ما

هو سبحانه ايضا ما رواه الصدوق في التوحيد والعيون في خبر طويل
نضمن مناظرة الرضا ع مع سليمان المروزي قال سليمان فانه لم يزل
مريدا قال عليه السلام يا سليمان فارادته غيره قال نعم قال فقد اثبت
معه شيئا غيره لم يزل قال سليمان ما اثبت قال ع هي محدثة يا سليمان
فان الشيء اذا لم يكن ازليا كان محدثا واذا لم يكن محدثا كان ازليا و
ساق الكلام الى ان قال ع يا سليمان الا تخبرني عن الارادة فعل ام
غير فعل قال بل هي فعل قال ع فهي محدثة لان الفعل كله محدث
قال ليست بفعل قال ع فمعه غيره لم يزل الى ان قال سليمان انما عنيت انها
فعل من الله لم يزل قال ع الا تعلم ان ما لم يزل لا يكون مفعولا وقديما
حديثا في حالة واحدة الى ان قال فالارادة محدثة والا فمعه غيره
وفيه كما نبه به الوالد العلامة قده من المبالغة في نفي ازلية غيره ما لا
يخفى وسئل الصادق ع هل ان الكلام صفة محدثة ليست بازلية
كان الله ولا شيء غيره ولم يزل عالما بما كون فعلمه به قبل كونه كعلمه
به بعدما كونه وعن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا ع انه قال اعلم
علمك الله الخير ان الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفة دلت العاقل

على انه لا شيء معه في قدميته فقد بان لنا باقرار العامة مع معجزة الصفة
انه لا شيء قبله ولا شيء معه في بقائه وبطل قول من زعم
انه كان قبله او كان معه شيء وذلك انه لو كان معه شيء في بقائه
لم يجز ان يكون خالقا له لانه لم يزل معه فكيف يكون خالقا لمن لم
يزل معه وفيه كما نبه به بعض الفضلاء تصريح بان الجعل والخلق لا
يتصوران في القديم لان تاثير العلة اما افاضة اصل الوجود واما
افادة بقائه واستمراره الجعل الاول والاخر محال ان يكون له علة موجدة
كما يحكم به الفطرة السليمة ويجيء مزيد بيان لامتناعه ان شاء الله تعالى
وقريب من هذا الذي صدر عن مشكوة الولاية والمعدن الحكمة
والرسالة هو المنقول عن ارسطاطاليس في كتاب الملل والنحل في جواب
بعض الدهرية حيث سئله فقال اذا كان الباري تعالى لم يزل ولا شيء
غيره ثم احدث العالم فلم احدثه فقال في جوابه لم غير جائز عليه لان لم يقتضي علة
والعلة محمولة فيما هي علة له من معلل فوقه ولا علة فوقه وليس بمركب فيحمل
ذاته العلل فلم عنه منتفية وانما فعل ما فعل لانه جواد فقيل فيجب ان يكون
فاعلا لم يزل لانه جواد لم يزل قال معنى لم يزل لا اول له وذو اول في القول

والذات محال بتناقض انتهى موضع الحاجة من كلامه واستحسنه
صدر المحققين بعد نقله حتى قال كان روح القدس نفث في
روعه وقال انظروا معاشر اهل اليقين واولي البصيرة في الحكمة
والدين هل اتى احد بعده من الحكماء والمتكلمين بمثل هذا الكلام
المحكم المتين في باب حدوث العالم وكيفية ارتباطه بالمبدع
الحق من غير تغير في ذاته او في صفاته الحقيقية والاضافية وقد
ارتضى كلامه هذا ايضا جمع من المحققين منهم الوالد العلامة
وشمس المدققين لصراحته في المدعى ونصوصيته في خلاف الدعوى
ويصدقه ايضا ما قاله الرضا في خطبة البليغة ومن قال لم فقد
علله وقال ع ايضا في حديث عمران فجعل الخلق من بعد ذلك
يعني بعد ما لم يكن معه شيء صفوة وغير صفوة لا لحاجة كانت منه الى
ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها الا به ولا راى لنفسه فيما خلق زيادة
ولا نقصانا وقال يا عمران لو كان خلق ما خلق لحاجة لم يخلق الا من
يستعين به على حاجته الى ان قال وفضل بعضهم على بعض بلا حاجة
منه الى من فضل ولا نقمة منه على من اذل فلهذا خلق وفي الحديث القدسي

السابع

السابع كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف دلالة
واضحة ايضا على حدوث الخلق وانقطاع وجوده في الازل قال الشيخ الرئيس
في جواب من سأله عن السبب في ايجاد الموجد للخليقة فاجاب ظهور الشيء
اما ان يكون بنفسه كالاشياء المحسوسة التي تتجلى بذواتها واما باثار صادرة
عنه كالمفعول الدال على فاعله وذات الاول الحق ليس مما يجوز ظهوره
بنفسه فاذا لا يظهر انيته الا بطرائق مفعولة فح اما ان لا يظهر ذاته فلا
يعرف انيته واما ان يختار ظهوره بنقيضه ومعلوم ان اختيار الظهور
اشرف من اختيار نقيضه اذ هو يضاهي الوجود ومقابله يضاهي العدم
والحكيم الحق يختار الافضل من طرفي الامكان والا كان العالم
ازليا لان الازلي غير محتاج الى الفاعل اذ هو في الوجود ابدا فحتى
توهمت الموجودات كلها ازلية لم يكن لها فاعل فاذن المفعول
من حيث هو ازلي يجب ان لا يكون مفعولا واما الازلي المفعول فح
محال انتهى ملخصا وظ هذا الكلام يعطي رجوعه عما عهد منه
ولا استبعاد فيه كما اعترف بكون مقدمات دليله جدليا في فن البرهان
مع دعوى الحق القطع في موضع آخر فكانه بعد الشك في مذهبه

رجع الى الحق واعترف بما اتى بنيته موافقا للمقاصد عن معلمه في
تعليمه وعن ابي عبد الله ع انه قال كان الله ولا شيء غير الله معروف
ولا مجهول كان عز وجل ولا متكلم ولا مريد ولا متحرك ولا
فاعل الحديث وفي حديث عمران عن الرضا ع انه قال يا سيدي الا
تخبرني عن الخالق اذا كان واحدا لا شيء غيره ولا شيء معه اليس قد تغير
بخلقه الخلق قال له الرضا ع قديم لم يتغير عز وجل بخلق الخلق
ولكن الخلق يتغير بتغييره الى ان قال ع سل يا عمران قال يا سيدي
الا تخبرني عن الله عز وجل هل يوجد بحقيقة او يوجد بوصف
قال الرضا ع ان الله المبدئ الواحد الكائن الاول لم يزل واحدا
لا شيء معه فردا لا ثاني معه لا معلوما ولا مجهولا ولا محكما
ولا متشابها ولا مذكورا ولا منسيا ولا شيئا يقع عليه اسم
شيء من الاشياء غيره ولا من وقت كان ولا الى وقت يكون ولا بشيء قام
ولا الى شيء يقوم ولا الى شيء استند ولا في شيء استكن وذلك
كله قبل الخلق اذ لا شيء غيره وما اوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة
وترجمة يفهم بها من فهم وقال ع في جواب عمران الصابي حيث سأله عن الكائن الاول

وعما خلق

وعما خلق اما الواحد فلم يزل واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود
ولا اعراض ولا يزال كذلك ثم خلق خلقا مبتدعا وقال ع في بعض خطبه
البليغة وابتدائه اياهم دليل على ان لا ابتداء له وقال ليس منذ خلق استحق
معنى الخالق ولا باحداثه البرايا استفاد معنى البرائية وفي كتاب التوحيد
عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله ع انه قال قال ابو عبد الله ع في ربوبية
العظمى والهية الكبرى لا يكون الشيء لا من شيء الا الله ولا ينقل الشيء من
جوهريته الى جوهر آخر الا الله ولا ينقل الشيء من الوجود الى العدم الا الله
وفهم الفصل وانقطاع وجود العالم من الازل في غاية الظهور ومنهما وفي
الخطبة السابقة نقلها عن علي ع انه قال وهو المفني لها بعد الحدثات
بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا
بعد ابتداعها باعجب من انشائها واختراعها الى ان قال وانه يعود
سبحانه بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك
يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت
عند ذلك الآجال والاوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء الا
الواحد القهار الذي اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء

خلقها وبعد امتناع منها كان فناؤها وفي بعض الاخبار عن الصادق عم
لم يزل العليم فخلق ما علم وفي حديث الزنديق الذي سأل الصادق عم عن مسائل الى
ان قال افيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه ام هو باق قال بل هو
باق الى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الاشياء وتفنى فلا
حس ولا محسوس ثم اعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها وفي
خطبة لعلي عليه السلم اوردها في نهج البلاغة المعروف من غير رؤية
والخالق من غير روية الذي لم يزل قائما دائما اذ لا سماء ذات
ابراج ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل
ذو فجاج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد
وذلك مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه وفي دعاء له عم
ذكره في المنهج انت الله الذي لا اله الا انت كنت اذ لم
يكن سماء مبنية ولا ارض مدحية ولا شمس مضيئة ولا
ليل مظلم ولا نهار مضيء ولا بحر لجي ولا جبل راس
ولا نجم سار ولا قمر منير ولا ريح تهب ولا سحاب يسكب
ولا برق يلمع ولا روح تتنفس ولا طائر يطير ولا نار

توقد

توقد ولا ماء يطرد كنت قبل كل شيء وكونت كل شيء وابتدعت
كل شيء الى آخر الدعاء وفي فصول الجوشن يا من خلق الاشياء من
العدم وفي حديث منصور بن حازم عن الصادق عم انه سئل هل يكون
اليوم شيء لم يكن في علم الله عز وجل قال لا بل كان في علمه قبل ان ينشئ
السموات والارض وفي بعض خطب امير المؤمنين عم كيف يستحق الازل
من لا يمتنع من الحدث فافاد عم بامتناع قبول الحدوث الازلية وامتناع
الازل عن الحدوث وتنافيهما فان فعل المختار لما كان تابعا للارادة فلا
بد ان يكون بينه وبين فعله انفصال واقعي وان لم يصل افهامنا الى
كيفيته وفي كتاب التوحيد عن ابي الحسن الرضا عم انه قال الحمد لله الملهم عباده
الحمد وفاطرهم على معرفة ربوبيته الدال على وجوده بخلقه وبحدوث
خلقه على ازليته وقريب من ذلك ما ذكره في النهج من قول امير المؤمنين
عم في بعض خطبه الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه
المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث
خلقه على وجوده ومن جملة خطبه عم انه قال الحمد لله الذي لا من شيء
كان ولا من شيء كون ما كان مستشهد بحدوث الاشياء على ازليته

وبما وسمها من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على
دوامه تقريباً لاستدلال من ظهور دلالة الكلام على اختصاص الازلية
والابدية به سبحانه مطلقاً كالحدوث والفناء لجميع ما سواه بمستفاد العرف
واللغة واحتمال الازلية الوجود لفرد من افراد الممكنات ينافي الاختصاص
ولا نمنع على النقد بطريان الفناء عليه بناء على ما تمهد عندهم من ان ما ثبت
قدمه امتنع عدمه وهو مناف لكلام امير المؤمنين الذي دون كلام الخالق وفوق
المعاني عن كلام المخلوق ويؤيد المطلوب ما رواه في البحار عن تفسير العياشي
عن عيسى بن ابي حمزة قال قال رجل لابي عبد الله ع جعلت فداك ان الناس
يزعمون ان الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة فقال ليس كما يقولون ان الله
خلق لها خمسين الف عام فتركها قاعاً قفراء خاوية عشرة الف عام ثم بدا لله
بدأ فخلق فيها خلقاً ليس من الجن ولا الملائكة ولا من الانس وقدر لهم عشرة
آلاف عام فلما قربت آجالهم افسدوا فيها فدمر الله عليهم تدميراً ثم تركها
قاعاً قفراء خاوية عشرة آلاف عام ثم خلق فيها الجن وقدر لهم عشرة آلاف
عام فلما قربت آجالهم افسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما سفكت بنوا الجان فاهلكهم الله ثم بدا لله

فخلق

فخلق آدم ع وقدر له عشرة آلاف عام وقد مضى من ذلك سبعة آلاف
عام ومائتان وانتم في آخر الزمان وفي البحار نقلا عن كتاب زيد النرسي
عن عبيد بن زرارة عن ابي عبد الله ع في حديث طويل يصف فيه افناء
العالم وساق الكلام الى ان قال ثم امات ملك الموت قال ثم يقول
تبارك وتعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ فيرد على نفسه اين
الجبارون اين الذين ادعوا معي الهاً آخر اين المتكبرون ونحو هذا ثم
يلبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك ثم يبعث
الخلق او ينفخ في الصور قال عبيد بن زرارة فقلت ان هذا الامر
كائن طولت ذلك فقال ارأيت ما كان قبل ان يخلق الخلق اطول او
ذا قال قلت ذا قال فهل علمت به قال قلت لا قال فكذلك هذا وقال
مؤلفه الفاضل بعد نقل الخبر بتمامه قوله فقلت ذا الظاهر انه اشارة
الى المدة قبل الخلق ويدل على الزمان الموهوم والظاهر في
النظر القاصر ان يكون قد وقع في الخبر تصحيف وطولت تصحيف
طول وذا اخيراً تصحيف لذلك وامثال ذلك غير مستبعد في امثال
تلك الكتب لغير المتواترة وعن بعض الكتب القديمة عن الصادق عليه السلام

انه قال في حديث انه كان قبل الكون والمكان وان احداثه وافنائه
عنده سواء ما ازداد بايجاده علما ولا ينقص بفنائه ملكه عز سلطانه
وجل سبحانه فمن اورد ما ينقض هذا الاصل فلا نقبله ونقل السيد
الجليل في سعد السعود نقلا عن صحف ادريس ع في وصف كيفية الخلق
على التدريج من خلق البحار والشمس والقمر واصناف الملئكة واصناف
البهائم والطير والنار واجناس الهوام والسباع والجان والنور
والغيث وهبوب الرياح والسحائب وكيفية اخذ الملئكة طينة آدم
من الارض منبدء من الاخذ الى ان وقع الفراغ في السبت وكيفية خلقة
آدم ع الى ان قال فخلق الله آدم على صورته التي صورها في اللوح المحفوظ
ثم قال السيد فاسقط بعض المسلمين بعض هذا الكلام وقال ان الله خلق
آدم على صورته فاعتقد التجسم فاحتاج المسلمون الى تاويلات الخ
ولو نقله بتمامه استغنى عن التاويل انتهى موضع الحاجة منه وقد
وردت اخبار كثيرة في كيفية خلق العالم ومبدءه ومنتهاه ومدة
بقائه ومقدار ما مضى من عمره بالفاظ مختلفة واختلف الكل في الدلالة
على انقطاع وجوده ونفي الازل وحدوثه عن القلم موافقا لاجماع المليين

ومنه

فخلق آدم ثم وقدر له عشرة آلاف عام وقد مضى من ذلك سبعة آلاف
عام فتأمل ومثله الموسوم بالتواتر بالمعنى فينبغي لولي النهى الاخذ بموضع
الاتفاق منها وان يكل علم الخصوصيات الى مصدرها ويدل على الحدوث
ايضا كل ما ورد مستفيضا في بيان اول الخلق وانه روح مفخر العالم وآله
الاكرم من طرق الخاص والعام ويجيء ذكر طائفة منها في اواخر البحث
انشاء الله تعالى الى غير ذلك مما دل على نفي الازلية والقدم عن
جميع العالم وانها ما وضع لنفي تاثير المؤثر فيه ويمكن تقرير الدليل
منها جملة كما اشير اليه سالفا بانها بعد التنزل عن خصوصيتها وصراحتها
في المطلوب فلا شك في ظهورها في الحدوث بالمعنى المعروف
للجميع ويتم البرهان القائم في بعثة الانبياء بمعونة انه لو كان الامر على
خلاف ظاهرها خصوصا فيما اذا كان خلاف الظاهر هو المتعين للديانات
ويكون ارشادا الى توصيفه جل جلاله بالكمالات وتنزيها لجنابه عن نقائص
النعات ورذائل الصفات ولم ينبهوا على المراد ولا اظهروا التاويل للعباد
لكان اخلالا بالحكمة الباعثة على البعثة لحفظ واغراء بالقبيح بل ذلك
على الفرض والتقدير ليس الا من الخشنة القبيحة لم يرض بها آحاد الحكماء و

من الذى يظن بهم صلوات الله وسلامه عليهم وعلى مفخرهم والعياذ
بالله تلك التهمة الا الملاحدة الدهرية المنكرين لمقاماتهم الاعلى و
مقالهم الاسنى وقد عرفت ان لا كلام في هذا الباب معهم بل مع المدعين
لهم والمؤمنين بهم والله ولي الامر واذ قد تبين عند اولي الالباب عند
الاجماعين من كلمات مفاخر العالمين ودرر افادات ذخاير النشأتين
المعصومين من كل ذلل ومين والمنزهين عن شبهات الموهومين ذو البين
فاقتضى المقام لسياق الكلام فيما نحن ان نتكلم به في الجانبين فقال

ماسواه لو يكن في لا انفصام   لا استحال نشبه فيه انعدام
لبس حس ليس محسوس بقى   عن رئيس كل مولانا علي
عن وجود ممكنات قد عرف   حكمة الرب بلا الكف جرى
كل ما في عالم الامكان كان   حسن وحسن تقدير عيان
لكن الاشياء طرا في انصرام   يقتضي صوغا فما فيه انعدام
عن ارسطو مثله جمع سطر   فبعقل وبنقل مستطر

يعنى ان العالم لو كان عنده غير منقطع الوجود عن جانب الازل لكان
غير منقطع الوجود عن جانب الابد لكنه فان منقطع الامد في الابد

فيكون

فيكون منقطعا عن الوجود في الازل بيان الملازمة عن المقدمة المسلمة
المقررة عندهم من ان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما بيان التالي
فلاباء هذه الطبيعة الفاسدة عن مصاحبة الدوام كما نقل عن
ارسطاطاليس معلم الحكماء وسيجيء نقل كلامه بعينه في باب المعاد
ان شاء الله تعالى وبصيغة ما اصدر عن معدن الولاية المضاهي لمشكوة
الرسالة وقد تقدم نقله عن نهج البلاغة من قول علي عليه السلم في بعض
خطبه انه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها
وتقدم ما يدل على هذا المرام في دعاء ابي جعفر الثاني عليه السلم
وغيرها من الاخبار المأثورة عنهم عليهم السلام

ان ستحبب تعد برهان الكلام   فاستمع قول القوام في المقام
كل جسم غير خال عن سكون   وعن الضد هما مما يكون
ثم ما كان محلا لهما   حادث حتما بعقل فاعلما
وكذا الاعراض عار في الازل   عن وجود بل كاتباع الاول
والضرورة بذاك قاضية   جودة العقل به من راضية
لا التناهي فالتطبيق محال   وليتق غير مسبوق مجال

انما ابتدء بين الدلايل العقلية بدليل الحركة والسكون لكونه
اشهر بين المتكلمين في هذا المقام وخلاصته ان الاجسام لا تخلو
عن امور حادثة متناهية وكلما لا يخلو عن امور متناهية حادثة
فهو حادث فالاجسام حادث بيان الصغرى انها لا تخلو عن الحركة
والسكون وهما حادثان اما الاول فلان الجسم لا يعقل موجودا
في الخارج منفكا عن المكان فان كان غير منتقل عنه فهو الساكن و
الا فهو المتحرك واما الثاني فلان الحركة هي حصول الجسم في حيز
بعد ما كان في حيز آخر والسكون هو الحصول في الحيز بعد ان كان
في ذلك الحيز وبعبارة اخرى الحركة هو الكون في المكان الثاني
والسكون هو الكون الثاني في المكان الاول فماهية كل منهما مقتضية
للمسبوقية بالغير والازلي لا يكون مسبوقا بالغير وعلله العلامة
ايضا بان كل واحد منهما يجوز عليه العدم ولا يجوز العدم على القديم
فقد تبين حدوث الحركة والسكون ولما كان مجرد حدوثهما
غير كاف في الاحتجاج على الخصم الا ببيان تناهيهما فينبغي ان يتمسك
بادلة بطلان الغير المتناهي من بطلان برهان التطبيق وقد تقدم بيانه فيما

سبق

سبق وتقريره فيما نحن فيه على ما قيل ان ناخذ جملة من الحركات
من الآن الى الازل جملة ومن الطوفان مثلا الى الازل جملة اخرى
ثم نطبق احديهما بالاخرى فان استمر الى ما لا نهاية لها يلزم تساوي
الناقص والزائد وان انقطع الناقص يلزم تناهيه والزائد عليه
بمقدار متناه فيكون ايضا متناهيا واستدل المحقق الطوسي ره
لذلك في نقد المحصل بما استنبطه من برهان الاضافة وتقريره
ان كل حادث موصوف باضافتين متقابلتين وهما السابقية
والمسبوقية لان كل واحد من الحوادث الغير المتناهية سابق
على ما بعده ولاحق بما قبله والسبق واللحوق اضافتان متقابلتان
لانهما ماخوذتان بالنسبة الى شيئين ثم اذا اعتبرنا الحوادث الماضية
من الآن تارة من حيث ان كل واحد منهما سابق والاخرى من حيث
انه لاحق كانت جملتا السوابق واللواحق المتباينتان بالاعتبار
متطابقتين في الوجود من غير توهم التطبيق بينهما ومع ذلك يكون
السوابق اكثر من اللواحق فيكون اللواحق منقطعة قبل انقطاع
السوابق واللواحق لزم تناهيهما جميعا لان السوابق انما زادت على اللواحق

بمقدار مثناه واما بيان الكبرى فبالضرورة القاضية بذلك لما ثبت
لنا من تلك الحوادث المتعاقبة المتناهية فيكون لها اول قطعاً والذي
لا ينفك عنها لا يوجد قبل ذلك الاول لما تقرر من عدم انفكاكها
عن تلك الحوادث باسرها فيكون اذاً حادثاً مثلها واما الاعراض
فان كانت جسمانية فيلزم حدوثها بحدوث محلها وسيجي اثبات
حدوث ما سوى الله زائداً على ما ذكر ولعل الى مثل هذا الدليل
اشار الصادق ع في جواب بعض الملحدة حيث قال عليه السلام
في جواب بعض الملحدة ما تقول فيمن زعم ان هذا التدبير الذي
يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة فقال عليه السلام يحتاجون
الى دليل ان هذا العالم الاكبر والعالم الاصغر من تدبير النجوم
التي تسبح في الفلك وتدور حيث دارت متعبة لا تفتر وسائرة
لا تقف ثم قال وان كل نجم منها موكل مدبر فهي بمنزلة
العبيد المأمورين المنهيين فلو كانت قديمة ازلية لم تتغير من
حال الى حال وقال ايضاً ان الاشياء تدل على حدوثها من دوران
الفلك بما فيه وهي سبعة افلاك وتحرك الارض ومن عليها وانقلاب

الازمنة

الأزمنة واختلاف الوقت والحوادث التي تحدث في العالم من زيادة
ونقصان وموت وبلاء اضطرت النفس الى الاقرار بان لها صانعاً
ومدبراً اما ترى الحلو يصير حامضاً والعذب مراً والجديد بالياً
وكل الى التغير وفناء فبما ظهر حدوث عالم الاجسام تم الامر وظهرت
الحجة على ما سلك من حصر الموجودات فيها ولم يثبت عنده مجرد
سوى الله واما على مذهب الحكماء فاشار الى حدوث عالم النفس او العقل

عالم الامكان طرّاً ذو انقلاب — للثبوت ليس فيه قط باب
عالم النفس مضاه للبدن — فحدوثاً بحدوث طابقن
عالم العقل بتسليم المقال — فوقه الامكان فيه لا مجال
وهو خال الحد ذاتاً عن وجود — ثم زوجاً صار فرداً فيض جود
اجل تركيب حدوث قد لزم — في قبول فيض جود فالتزم

توضيح المراد من هذه الابيات ان يقال انه لما تبين بالبرهان ان
الممكن اياً ما كان فهو في حد ذاته ساقط في الوبال فاقد للوجود
والكمال ذاته مستفيد بعد ما استحقاقه فبلسان الحال عن المبدأ

الفياض فيكل الاحوال فحاله في حال ذاته مغاير البتة لحاله
مع مبدئه ومن اليه مطمح نظره فيكون لا محالة في حد نفسه دائما في
الدثور والاضمحلال وان كانت مطلبا بلسان استحقاقه للوجود و
الكمال عن جناب مبدئه المقدس الاعلى فلا يكون قط ثابتا بحال
واحد من الاحوال والاستفادة سابقة على وصول الفائض البتة
فلا بد من خلوه عنها حتى يستفيدها والا يلزم تحصيل الحاصل ويكون
متسلكا في سلك ما لا طائل وتلك الفرجة مستلزم لانقطاع وجوده
الغني عن جانب الازل بالنسبة الى مبدئه وموجده الاول وهذا المعنى
هو المراد من الحدوث المشهور بين المتكلمين المحققين فمن هذا البيان ظهر
حدوث النفس ايضا ولما كان المذهب المشهور بل المنصور هو حدوث
النفس بحدوث البدن فمن حدوثه يلزم حدوثها ايضا وهذا هو
المنقول عن ارسطاطاليس حيث وافق المليين فيه ولكن المشهور
عن افلاطون خلافه والقول بانها واحدة في الاول وانما تتقسم
في الابدان وبعد المفارقة ترجع الى اصلها وتتحد كما كانت متحدة

فيه

فيه وهذا الكلام مناف لما تقدم بالنسبة لحدوث الزماني للعالم
اليه ولعل لكلامه تفسيرا وتاويلا لم يطلع الناقلون عليه
وقد نقل الفاضل مولانا شمسا جيلاني عن ابي الحسن العامري
عن افلاطون انه اطلق القول في بعض كتبه في ان جوهر
النفس غير مكون وانه لا يموت وقال في كتاب آخر انه مكون
غير دائم وتولى ارسطاطاليس تبيين مراده من اختلاف اللفظين
فقال عنى بقوله الاول انه لم يتدرج في حدوثه من القوة الى الفعل
لكن حدوثه دفعة ثم لم يعرض له موت في دار المثوبة وعنى بقوله الثاني
انه معرض للاستحالة من الجهل الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة
وان ذاته ما كان يفوز بالبقاء الابدي لولا استبقاء الله تعالى اياه
على الدوام وصرح بذلك في كتاب آخر له ان خالق الكل اوحى
الى الجواهر الروحانية بانكم لستم بانكم لا تموتون ولكن استبقيكم
بقوتي الالهية انتهى كلام العامري ملخصا واليه يومي عن اسئلته عن
طيماوس فقال لما الشيء الكائن ولا وجود له وما الشيء الموجود ولا كون له
قيل انه اراد بالاول الحركة والزمان لانه لم يؤهلها لاسم الوجود تحديدا

وتقدّمهما وبالثاني الجواهر العقليّة التي هي فوق الزمان وعلى هذا
فلا غبار عليه ولا حزازة فيه وعلى أيّ تقدير فاستدلّ للمشهور كما سيجيء
إن شاء الله تعالى في الملحقات السبع بأنّ النفس لو كانت قديمة لكانت
إمّا واحدة أو كثيرة وكلا القسمين باطلان فالقول بالقدم باطل أمّا بيان
بطلان الأوّل فلأنّها لو كانت واحدة في الأزل فإمّا أن تتكثّر فيما لا يزال
أو لا تتكثّر والثاني باطل وإلّا لزم أن يكون ما يعلمه زيد هو بعينه ما يعلمه كلّ
أحد من أفراد البشر وكذا سائر الصفات والمشاهدة تشهد بخلاف ذلك
فإنّه قد يعلم زيد ما يجهل به عمرو وبالعكس وعلى تقدير اتّحاد النفسين
يلزم الاتّصاف بالضدّين والأوّل أيضاً باطل لأنّها لو تكثّرت فإمّا أن
تكون النفسان الموجودتان الآن الحاصلتين بعد الانقسام وهو أيضاً
محال للزوم بطلان النفس الواحدة التي كانت موجودة وحدوث
هاتين النفسين مع فرض قدمها وهو جمع بين الضدّين وأمّا بيان بطلان
الثاني فلأنّ تغايرهما مع وحدتهما بالنوع وعلى تقدير كونهما متعدّدة في
الأزل يلزم أن يكون لا يتّحدها بالنوع وعلى تقدير كونهما متعدّدة
في الأزل يلزم أن لا يتّحدا بالنوع ولا مساواة لذلك عند ذلك

القائل

القائل لتجرّدها عنده فيكون نوعها منحصرة في شخصها لا انفراد
من أنّ الاتّحاد بالماهيّة والتكثّر بالأفراد إنّما يكون في الماديّات
ولا مادّة في الأزل لتسليمه حدوث المركّبات العنصريّة وأمّا حدوث
العقل على تقدير وجوده فلما تقدّم من عموم الدليل وتوضيحه
أنّ فيه قوّة الإمكان لا محالة وفي حدّ ذاته خال عن الوجود فكذلك
فهو زوج تركيبيّ فإنّ الذي هو باعتبار ذاته غير الذي له من غيره
والتركيب دليل الحدوث لضرورة تقدّم أجزاء المركّب عليه وضرورة
تقدّم ماهيّته الخالية عن الوجود على نفس الوجود وضرورة تقدّم
القابل على المقبول وضرورة عدم صدق قبول الوجود وفيض
الجود من غيرها خلا عنه ولعلّ إلى مثله أشار الرضا عليه السلام في خطبة
البليغة حيث قال ليس في إبانته عن الخلق ضيم إلّا بامتناع الأزل أن
يُثنّى ولما لا بدء له أن يبدى وفي الخطبة المشهورة المنقولة في الكافي
عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال وكمال توحيده نفي الصفات عنه
لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة
وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل ثمّ أكّد مضمون المرام فقال

نفي معلوليته فلا لترم   من له في قلبه وضع القدم

اشار بذلك الى ما ذكره المحقق الالمعي الشيخ حسين التنكابني في رسالة الحدوث وتقريره انه لو لم يكن العالم بجميع اجزائه منقطع الوجود عن الازل ومسبوقا بالعدم الواقعي الخارجي لزم عدم معلوليته فيه وبطلان التالي ملزوم لبطلان المقدم بيان الملازمة هو ان المعلول ما يستفيد وجوده عن العلة والا لم يكن معلولا ولما كان العالم كله من الاملاك والافلاك موجودا في الخارج مستفيدا لهذا النحو من الوجود عن الجاعل القيوم فيجب ان يكون فاقدا له فيه حتى يصدق عليه الاستفادة عنه في ظرف الخارج وليس هذا الا عدما سابقا له فيه سبقا واقعيا وينعكس بعكس النقيض الى انه لو لم يكن فاقدا للوجود في الخارج لم يكن معلولا ولا مستفيدا للوجود هف فلذا ورد في بعض كلام اهل الذكر الذين اليهم انتهى منتهى الفكر ان الكلام الذي هو صفة الفعل لو كان قديما كان الها ثانيا بيان الملازمة كما بينه بعض الفضلاء انه لو كان قديما لاستغنى عن العلة الموجدة لامتناع الازل عن تاثير المؤثر فيه كما تقدم وكذا المبقية لانها فرع الموجدة

فبانتفاء

فبانتفاء الاول ينتفي الثاني والوجود المستغني عن المؤثر انما هو الواجب فيكون الها ثانيا كما ذكره ثم والى ذلك اشار الرضا بانه كيف يكون خالقا لمن لم يزل معه وقوله ما لم يزل لا يكون مفعولا

كل ما قد كان في صحب الوجود   مستحيل الكون من فيض وجود
انه بالفعل صار ما قبل   غير ما قد كان فيه من سجل
انما الفعل لشيء ما لم يكن   لا يصح القول فيما كان كن
غير مسبوق بفرض الانعدام   صرف عقل حاكم النفي المدام
في قبول الجود لابد العدم   غير ذات من محال القدم
وبذاك نص مولانا الرضا   عنده سطا ليس ذا قلب تقضي

وفيه اشارة الى ما ذكره المحقق الطوسي قدس الله سره القدوسي في فصوله وغيره في غيره وهو ان ما سوى الواجب ممكن وكل ممكن محدث والصغرى ضرورية بما قد سبق في دليل المفاهيم والمواد الثلث وبيان الكبرى ان يقال ان الممكن يحتاج في وجوده الى موجد فالموجد لا يمكن ان يوجده حالة وجوده لاستحالة تحصيل الحاصل فيلزم ان يوجده حالة لا وجوده فيكون وجوده مسبوقا بلا وجوده وذلك حدوثه

وهو المطلوب وقال ايضا فيه قد ثبت ان الوجود الممكن من غيره
فحال ايجاده لا يكون موجودا لاستحالة ايجاد الموجود فيكون
معدوما فوجود الممكن مسبوق بعدمه وهذا الوجود يسمى حدوثا
والموجود محدثا فكل ما سوى الواجب من الموجودات محدث
واستحالة الحوادث لا الى اول كما يقوله الفلسفي لا يحتاج الى بيان
طايل بعد ثبوت امكانها المقتضى لحدوثها ثم قال مؤثر الكل اما ان
يكون اثره تابعا للقدرة والداعي او لا يكون بل يكون مقتضى ذاته
والاول يسمى قادرا والثاني موجبا واثر القادر مسبوق بالعدم
لان الداعي لا يدعو الا الى المعدوم واثر الموجب يقارنه في الزمان
اذ لو تاخر عنه لكان وجوده في زمان دون اخر فان لم يتوقف
على امر غير ما فرض مؤثرا تاما ترجح من غير مرجح وان توقف
لم يكن المؤثر في الممكنات قادرا اذ لو كان موجبا لكانت الممكنات
قديمة واللازم باطل فالملزوم مثله وقد اشير الى خلاصة مضمونها
في المتن مع الاشارة الى اختصاص الازلية به سبحانه وقال ايضا في
شرح رسالة العلم الازلية تعم اثبات سابقية له على غيره ونفي المسبوقية

عنه

عنه ومن تعرض للزمان او الدهر او السرمد في بيان الازلية فقد
ساوق معه غيره في الوجود وقد سبق عند ذكر الدلايل النقلية ذكر كلام سيدنا
الرضا صلوات الله عليه وذكر كلام ارسطو وتعبده فتذكر فان قلت
الممكن ما لم يكن فرض وجوده مطلقا محالا وقد احلت بما ذكرته وجوده ازلا
يقال له في الجواب ليس من لوازم الامكان امكان كل وجود له بعد تقييده
بقيده لضرورة عدم امكان وجود الجوهر القائم للعرض لغير القائم وكذا
مرتبة السطح او الخط للنقطة وامثالها وبعبارة اخرى انما يصح فرض
وجود الممكن وعدمه فيما صحت امكانه فيه وادخله لا فيما خرج عن حده
وتجاوز عن رسمه وضاق وعاؤه عن قبوله والا لزم سلب الحقيقة و
الانقلاب وهو محال عند اولي الالباب وليس تعلم باليقين ان ليس له
وجوده في مرتبة الوجود الذاتي للواجب تعالى شانه بالدليل المتبين
فان وصف الامكان وتوصيفه كونه معمولا بالارادة والاختيار ولنعم
ما قاله صدر المحققين مع اعتقاده ان العلة المحوجة الى الفاعل هو
الامكان ان كون الممكن بعد عدمه من ضرورياته وكذا كونه معمولا بالاختيار
موجب للفصل وانقطاع وجوده في الاصل حتى يعمل وسيجيء لهذا المقام

مزيد تحقيق ان شاء الله تعالى ولبعض الفضلاء ههنا كلام جيد جامع بين
ما ذكر ههنا من البراهين تقريره ان العالم ممكن وكل ممكن حادث
اما الصغرى فظاهر واما الكبرى فلان كل ما هو ممكن لا بد ان يكون
وجوده من سبب يوجده ويفيده الوجود وافادة الشيء للشيء الوجود
يتوقف على خلو ذلك الشيء عن الوجود والخلو اما ان يكون في ذاته او بحسب
نفس الامر فاما ان يكون هو بحسب نفس الامر تقديرا بمعنى انه لو لم
يكن موجودا لافادة الوجود او تحقيقا ولا شك ان الاولين لا يكفي
في الايجاد وافادة الوجود لان الممكن حال بقائه يصدق عليه انه خال
عن الوجود في ذاته وبحسب نفس الامر تقديرا مع انه لا يمكن ان يوجده
ويفيده الوجود فلا بد من الثالث اي الخلو بحسب نفس الامر تحقيقا والخلو
عن الوجود بحسب نفس الامر تحقيقا عين الحدوث فانه اذا كان الشيء بحسب
نفس الامر والواقع خاليا عن الوجود تحقيقا ثم يوجده سبب ويفيده الوجود
مسبوق بالعدم ضرورة انه لا معنى للحدوث الزماني الا هذا فافهم

انتفاء الفرق بين القائمين   في بقاء وحدوث دون مين
لازم التقدير فافهم يا ولي   ذا لعند اللب من امر جلي

يعني على تقدير ما اذا لو فرض القدم يلزم انتفاء الفرق بين حاجته اليها في البقاء
وهي العلة المبقية لاستواء الامر في الحالتين في العدم الذاتي لا ينفك عنه
فقط ولو كان موجودا فلا فرق بينهما وهذا خلاف ما يحكم به العقل الا
الصريح كما نبه به الفاضل الشيخين التكلنبوي ره في رسالته بل لم يبق محال كما
ذكره بعض الفضلاء المتحيرين للعلة الموجدة اصلا اذ تاثير العلة في الحوادث
المشاهدة في الآن الاول هو افاضة اصل الوجود وفي كل آن بعده
من آنات زمان الوجود وهو البقاء الوجود واستمراره ما جعله في الاول
فعلى تقدير جواز كون ممكن ما ازليا دائميا ففي كل آن يفرض من آنات
زمان وجوده الغير المتناهي في طرف الماضي فهو آن البقاء واستمرار
ما كان سابقا عليه ولا يتحقق ان يفرض فيه افاضة اصل الوجود و
الايجاد مع ضرورة ان العلة المبقية انما تكون مؤثرة في الابقاء بعد
بعد صدوره عن مبدعه ومبدئه قطعا وهذا هو الفرق بينهما
ومن اجل المساوقة بين القدم ونفي المعلولية وثبوت الملازمة بينهما
ذكر بعض القدماء المحدثين منهم شيخنا الجليل النبيل ثقة الاسلام
في الكافي فيه ما دل على اثبات المبدء تحت عنوان حدوث العالم فافهم

عدمٌ بالذات فيه باتفاق … فعلى المثبت برهان الشقاق

فتأمل هذه لتصوب السداد … يا لبيب كن على نهج الرشاد

يعني ان العدم الذاتي ثابت عند الالهيين في كل ما سوى الله
تعالى بل ربما كان ذلك من لوازم ماهياته فاثبات وجوده زايدا
على ما اثبته المليون يحتاج الى برهان يدل عليه فعليهم الدلالة
وما توهموه دليلا مدخول واما من قال بقول المليين فهو في
فسحة عن ذلك فضلا عن براهينه الساطعة وادلته القاطعة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله

صرف عقل افتتاح الكائنات … غير آب في ذلك من باهرات

وخلاف الاعتقاد وصفه … ممكن للعقل صاف كشفه

قادر انت بتقدير العقول … او بوهم ما ادعاه ذو الفضول

يعني ان التصديق فرع التصور بل لا بد ان يكون قبله ظن كما
صرح به في منطق الشفا وما لم يتصور فلا ظن وما لم يظن لا يحصل
تصديق به وفيما نحن فيه فرض صدور العالم بعد عدمه الصريح لا يأبى
عند العقل بوجه ويتصور كل احد واما صدوره عن المبدأ الفياض
بالارادة والاختيار من غير فصل ولا سبق عدم خارجي فغير متصور

بوجه

بوجه فكيف يصدق الفلسفي ويدعي ان منه البرهان عليه بل الظاهر كما
ذكره الغزالي نفي تقدم العالم مستغنيا عن المؤثر كما زعمه الدهرية مع
كونه باطلا بالمرة يمكن ان يفهم معتقدهم ويتصور مقترحهم بخلاف هؤلاء

وشعاع الشمس ان مثلته … موجب قل بعد ما قولته

بين ايجاب وبين الاختيار … انفكاك وافتراق باضطرار

في التلازم فلو كان الكمال … كان للايجاب حقا عن قبال

وفيه اشارة الى رد ما ذكره شيخ الاشراق في دفع استبعاد المليين
بل استحالتهم عدم انفكاك المعلول عن علة الفاعلية الجاعلة له
في الهياكل بعد ما ذكر شبهته وزعم برهانا على قدم العالم بقوله
في ذيل تلك الشبهة لما علمت ان الشعاع من الشمس وليس الشمس من
الشعاع وان دام بدوامه فلا تتعجب من كون الحق قائما بالقسط و
ما نضرة الشمس دوام شعاعها او بقاء ذات في نورها وقريبا من
ذلك ذكره في حكمة الاشراق وحاصل الجواب بيان الفرق بين
المثال والممثل وهو ضرورة الافتراق بين المختار الفاعل بالارادة
والموجب فلذا نبه النزاع في القدم والحدوث بعض المحققين على كون

مبدء العالم تعالى شانه مختارا او موجبا فكيف يقاس احدهما بالاخر
مع ضرورة الفضل في الاول دون الاخر ولو كان عدم انفكاك
المعلول عن علته ولزومه له كما لا لعلته لكان الفاعل الموجب اكمل
وافضل من الفاعل بالارادة والاختيار وبطلانه بديهي لا يحتاج الى البرهان كما هو التبيان فلا

وقع للبيان
واليد المفتاح مما لا يقاس ... علة التحريك نفس لا القياس

اشارة الى دفع ما توهمه الشيخ الرئيس واتى به في مقام توضيح البرهان
زعما منه ان تمثيله سليم فيودي الى المطلوب ويوصل المسترشد
الى تصور المقصود حاصل الجواب بعد ما تبين استحالته تماما انه
من المقال ان لا مثال للحق وما مثل به غير مطابق للمثل اذ اتحاد
حركة اليد والمفتاح من باب المعية في الوجود ولا سببية بل
الوجود فان علة التحريك ظاهرا فيهما هو النفس الخارجة عن
حقيقتهما وهي المقدمة عليها فلذا قال السيد المحقق الداماد ره
ليس يصح ان يقاس فعله مجانا بالشمس وشعاعها ولا بحركة اليد والمفتاح
شبهات القوم نسج العنكبوت ... وبعوض في شباك وحوت

لنحو

نسجوا القول بوهم وخيال ... ثم سموه ببرهان المقال
فاستعن بالله وهاب المنن ... انه الهادي ورب مؤمن
غاية الغايات رب للعباد ... بالعناية حباهم لا المواد
هو جواد ان يشا شيئا اجاد ... فاذا ان شاء مقدورا اراد

لما فرغ عن بيان الدلايل من العقل والنقل على مذهب المنصور شرع في
نقل شبه اعوان القائلين بالقدم من الفلاسفة في اثبات مطلبهم السخيفة
منها ان كل ممكن لا بد له من مادة سابقة عليه ولبيت بحادثة وانما
الحادث الصور والاعراض والكيفيات الواردة على المواد وبيانه ان كل
حادث فهو قبل حدوثه لا بد وان يكون ممكن الوجود لاستحالة كونه
ممتنعا او واجبا وامكان الوجود وصف اضافي لا بد له من محل يضاف
اليه ولا محل الا المادة فيكون الامكان وصفا للمادة والمادة ليست
لها مادة فلا يكون حادثة اذ لو حدثت لكان امكان وجودها سابقا
على وجودها فيكون الامكان قايما بنفسه غير مضاف الى شيء اصلا و
ذلك مما لا يعقل وكذا الكلام فيما اذا قيل برجوع كونه ممكنا الى كونه
معلوما فانه ايضا وصف اضافي لا بد له من ذات يضاف اليها وليست

الا المادة فلا يكون حادثة واجيب عن هذا الوهم بان صدق المفاهيم
الثلاثة المسماة عند علماء المعقول بالمواد الثلاثة من الامكان الذاتي
واخويه من الوجوب والامتناع على الاشياء يرجع الى قضاء العقل فما
لم يمتنع عليه عند العقل تقدير عدمه سلبا بسيطا لا سلبا عدوليا سميناه
ممكنا وان امتنع سميناه واجبا وان امتنع تقدير وجوده سميناه ممتنعا
وليس الامكان امرا ثبوتيا حتى يلزم من ثبوته ثبوت المثبت له فالتوصيف
بالامكان غير موجب لوجود ما صدق عليه لان الصدق السالبة بالسلب
البسيط غير مقتض لوجود الموضوع اصلا لان مصحح ذلك السلب
انتفاء الموضوع في الخارج سواء تصوره متصور او لم يتصوره فيكون
ذلك السلب ازليا والمسلوب عنه ضرورة الوجود والعدم بالنظر
الى الذات معدوما في الازل لا موجودا فيه حتى يلزم ازلية وجوده
كما سيجيء مزيد بيانه ان شاء الله ومن هذا الباب تسلم اكثرهم حدوث
النفوس البشرية مع تجردها عندهم فكيف يكون حال الماديات
فتبين عدم حاجة الحوادث الى مادة قديمة بل العناية الازلية
مقتضية للجود على حسب ما يراه من الصلاح في الوجود نعم الامكان

الاستعداد

الاستعدادي نوع من انواع الكيف محتاج قبل الخروج الى الفعل
الى محل قابل له وهو المادة ولا يكون باقيا بعد الخروج الى الفعل واشار
بقوله غاية الغايات الى ما ذهب اليه المحققون من ان منتهى جميع الغايات
ومرجعها اليه سبحانه وليس لافعاله علة غائية خارجة عن ذاته بل علة الاغراض
هي ذاته جل شانه ولا يحتاج في ايجاد الممكنات الى وجود خارجي بل علمه بذاته

ازل الامكان امكان الازل　　موجبا ليس اعزل عمن عزل

اشارة الى ما ذكره الغزالي عنهم في التهافت وغيره في غيره وحلوه
من اوقع شبهتهم في النفس وحاصله ان وجود العالم ممكن قبل وجوده اذ
لا يجوز ان يكون ممتنعا ثم يصير ممكنا لاستلزامه الانقلاب في الحقيقة
وهو محال وهذا الامكان لم يزل ثابتا للعالم ممكنا وجوده له فاذا كان
الامكان لم يزل فالممكن على وفقه يكون ايضا لم يزل لان ازلية الصفة
مستلزمة لازلية الموصوف فيلزم ازلية الممكن ولما كان هذا الدليل
عاما يلزم منه قدم جميع العالم واجاب بان العالم لم يزل ممكن الحدوث
فلا جرم ما من وقت الا ويتصور احداثه فيه واذا قدر موجودا ابدا
لم يكن حادثا فلم يكن الواقع على وفق الامكان بل خلافه وفيه شيء فات

ممتنع على بعض المركبات عدم خاص او وجود خاص كالوجود الفاني للحركة
والمستقل للعرض والازلي للمسبوق بالاستعداد ذاتا والعدم اللاحق
للنفس المجردة عند الفلاسفة فالعدم بعد الوجود ضروري للحركة
وممتنع للنفس المجردة عندهم انتهى كلامه على الله تعالى وهو كلام

وهو المنان في فضل وجوده ‏ واهب آيات امكان الوجود
منه الامكان ابى في الازل ‏ عن قبول فيضه فامن عدل
ما لبخل سبق عدم في الصنيع ‏ ما لوسع ممكن الا البديع
وهو الفياض وله ما حد ذات ‏ ما لذات ممكن فيه ثبات
جاد جودا رحمة من بعد ما ‏ صار في استحقاق جود فاعلما

اشارة الى الجواب عما ذكره بعضهم من لزوم خلوه سبحانه عن الجود
على تقدير حدوث العالم واللازم على ذلك البخل عن الافاضة مع
علمه انه فياض على الاطلاق وحاصل الجواب ان متعلق القدرة
لا بد وان يكون ممكنا اذ لا حظ من الوجود للمحال وقدم العالم من
المستحيل عند اهل التحقيق اذ الاحداث مستلزم للحدوث او الحدوث
مستلزم لسبق العدم فينافيه القدم لا محالة كما تقدم والبخل وهو ممتنع

امكان الحدوث غير مستلزم لتحققه كما ان تحقق وجوده غير مستلزم لاندفاع امكانه
والاولى ان يكون الامكان لا يعطي الوجود فانه من القضايا العقلية والمفاهيم
الاعتبارية كالممتنع وليس امرا ثبوتيا كالسواد والبياض والا لزم التسلسل
المحال وملزوم المحال محال بيانه ان امكان الممكن لو كان ثبوتيا لشمله من
المواد الثلاثة ايضا الامكان وهو ايضا امر وجودي يحتاج الى امكان اخر
وهكذا فيلزم التسلسل في الامور المترتبة على زعم الخصم وايضا لو كان مجرد
ثبوت الامكان لشيء موجبا لوجوده لكان جميع الحوادث الكائنة موجودة
في الازل والواقع المشاهد يشهد بخلافه وبيانه بوجه اوضح ما ذكره بعض
الفاضل رحمه الله في الرسالة الموسومة بالوجيز بقوله الممكن ممتنع اتصافه بالوجود
الازلي لاجل امكانه ولا ينافي امتناع هذا النحو من الوجود امكانه الذاتي
فانه ممكن في الازل باعتبار جواز وجوده فيما لا يزال لا باعتبار وجوده في
الازل وكم من ممكن يمتنع عليه انحاء من الوجود مطلقا وان كان نحو
خاص من الوجود يجري عليه ويجوز اتصافه به وذلك لان ظرف الامكان
الذي هو لازم الماهية غير ظرف الوجود المستفاد من غيره وهذا هو الفرق
بين ازلية الامكان وامكان الازلية واستوضح ذلك في الحادث الزماني

فقد

منع الفيض عن القابل انما يلزم على تقدير تحقق القبول ومادة الا
مكان غير قابل للازلية فلا انتفاء لفيض جوده اصلا اذ الجواد
هو الذي جاد ما ينبغي لما ينبغي حين ما يليق به وقدم الوجود مما
لا ينبغي للممكن فالنقص فيه وذاته لا في الوجود الكامل والفيض الشامل
وبمقداره ما لتحققه وليستدعيه بلسان الحال ويمكن له بقاعدة الامكان
الاشرف فقد حباه واعطاه من غير بخس حظ اصلا وبيانه ان
اطلاق الجواد عليه سبحانه بمعنى كون الذات كاملا وتاما في تلك
الصفة بحيث لو كان قابل للافاضة لكان مفيضا له بحسب ذاته
من غير ضنة ولا امساك وهذا المعنى ثابت له بتقدس اسمائه و
جلت نعمائه ولا يلزم منه قدم العالم لما تقدم من عدم امكان قبوله
ولذا قال سيد الرضا عليه السلام مذ خلق استحق معنى الخالق واما بمعنى كون
الجاعل جوادا اضافيا بمعنى تحقق الجود منه بالنسبة الى مجعول ما بالفعل
كالرازقية فهو من الامور الاضافية يحتاج الى احتمال المستفيض بشا
حاله واستعداده ما بليته وامكانه فليس فقده نقصا في الافاضة ولا
بخسا في كمال الجود والكرامة ولا قبح في ثبوته له في الازال

والم يكن

وان لم يكن في الازل فانه يرجع بهذا المعنى الى صفة الفعل ويتصف
سبحانه بطرفي الايجاب والسلب جملة ما المكن في مختلف الاحوال وغير نظر في نقض الى ايه

وبفيض الذات قد قلت كنا — قدرة علما عن الوهم لذا
كل مقدور كان في الازل — ام له قدرة لدى الرب الاجل
عند حد الذات قل لا يجوز — كون ذات حيث يحويه يجوز
وكذا قل انت في هذا المرام — استمع صر انه حق المقام

يعني ان اردت من كونه تعالى فياضا كون الذات بالفعل بحيث يفيض
ان يحقق المستفيض وصار قابلا بقبول الفيض كما في الخلق والقدرة
وكذا في العلم فانه يعلم ما لو كان من الكائنات في المستقبل كيف يكون
ولا يستلزم ذلك وجود المعلول المخلوق والمقدور والمعلوم فذلك
غير مستلزم لقدم المعلول ولا الخلو من الفيض فانه فرع وجوده
وان اردت به صدور الفيض ووصوله الى المعلول الثابت في الخارج
وان عدمه ملازم للنقص فممنوع فانه ح من صفات الفعل وسلبه
عن ذات ذي الجلال من غير لزوم نقص محال وايضا اللازم على

ما توهموه خلو ذاته الاقدس في حد ذاته عن الفيض للضرورة والاتفاق
على عدم كون فعليته الاضافة واحداث الممكنات في حد ذاته سبحانه
ثم عاد الى العبارة قال الفيروزآبادي الحوز الجمع والضم فالمعنى كون
الذات الاقدس بحيث يحيط المقدور بالقهر والغلبة ويشمله بالفيض
المقدس مثال من يجمع الكلام ويضم مقاصده بعضها الى البعض من غير
مناقضة بينها فكذا فيما نحن فيه بلا لزوم التخيل والله يهدي الى سواء السبيل

انهُ كُلَّ مُرادٍ قَدْ اَرادْ ليسَ في قِدَمِ الوُجُودِ مِنْ مُرادٍ

على ان الخلق والايجاد للعالم انما يكون مع تعلق الارادة بل لا محالة
والممكن بوصف القدم ابى من ان يكون متعلقا للارادة اما اذا كانت
الارادة بمعنى الاحداث فظاهر واما اذا كانت بمعنى العلم بالاصلح
فلان المستحيل لا اصلاح فيه نعم ما كان مستحقا للوجود ينبغي ان يجب
له الفياض المطلق ما يستحقه لاستحالة البخل والجزاف على جناب
القدس تعالى والحاصل ان الموجد لا بد من ان يكون ذا ارادة لان
كل معلول كما عرفت لا بد ان يكون مسبوقا بالعدم الخارجي
فلا بد من مرجح الايجاد في الجزء الفرضي الوهمي من الامتداد المنتزع من

بقاء الواجب تعالى شانه من بقية ولاحقة فيكون الاختصاص بمجرد الارادة
على حسب ما يعلم اصلح بشانه على قدر قابليته وقد تحققت استحالة الازلية
للمعلول فلا يكون متعلقا للارادة لانه فرع الامكان فالاصلح
بحال الممكن هو ما اعطاه الفاعل من نحو وجوده الحادث الخاص به على حسب استعداده

اَصْلَحُ الاَحْوالِ قُلْ اِنَّما كانْ غَيْرُ اِصْلاحٍ فَما يَأْبَى المَكانْ

فيه اشارة الى دفع وهم من يتوهم في المقام فيقول الله سبحانه خير محض
وافعاله منوطة بالحكمة ولا عجز في قدرته سبحانه بوجه اصلا ولا ريب
ان الوجود كله خير وان الاخير بوجه في العدم فينبغي له سد العدم عن جانب
الازل بالمرة مراعاة للحكمة والمصلحة وحاصل الجواب ان الصلاح والفساد
ليسا بمحصورين في الازلية بل انما يكونان فيما يصدر عن الفاعل المختار
المتعال بمقتضى استدعاء القابل بلسان الحال وقد تبين عدم قابلية
العالم المعلول المفعول لقبول الفيض الازلي الغير المسبوق بالعدم
فلا جرم ما يقبله العالم من الوجود قد حباه الصانع الودود وما ليس
في قوة قبوله من الفيض الاقدس فهو ناش عن نقصه الاوكس ولا يلزم
منه البخل على واهبه الاقدس وبوجه آخر جناب الباري تعالى علم في الازل ف

فالوجود الازلي لو سلم امكانه فهو ممتنع بالامكان الوقوعي لكونه مرجوحا
والوجود اللاازلي ممكن بالامكان الوقوعي لكونه مرجوحا والوجود
اللاازلي ممكن بالامكان الوقوعي لكونه راجحا والمرجوحية غير
ممكن انفكاكها عن الاول فلذا لا يمكن وقوعه في الازل لكونه مو
قوفا على نفي المرجوحية وهو محال والموقوف على المحال محال اي ليس له امكان وقوعي فتدبر

خيرٌ محضٌ كاملُ الجودِ التمامِ   لكنِ المعلولُ في نقصٍ مُدامِ
وكمالُ الذاتِ ما فيه الخلافِ   في نعاتِ الفعلِ جاءَ الاختلافِ

فيه اشارة الى دفع وهم آخر وهو انه جل علا لخير محض وجواد مطلق
فلا يناسبه منع الفيض عن الممكن الاشرف وحاصل الدفع ان كمال ذاته
وعلو صفاته مسلم لكن عدم الممكن من لوازم قبوله الايجاد لنقصه في
حد ذاته والعدم من ضرورياته واشار بقوله وكمال الذات الى دفع
وهم آخر وهو انه سبحانه باتفاق الالهيين من الحكماء المليين تام في كماله
بل فوق التمام في ذاته وصفاته وهو سبحانه في ازل الآزال كما في ابد
الآباد ولا يتطرق عليه قط تغير السنون والحساب ولا ريب ان من كمالاته
العليا الخلق والايجاد فينبغي ان يتخلف عنه بحال ويكون ازليا كازلية ذاته

وكما

وكمال فعاله في كل الاحوال وحاصل الجواب ان الذي من صفات الذات هو
القدرة والاختيار لا الايجاد فانه من صفات الفعل وفي صفات الفعل
يمكن توصيفه سبحانه بالنقيضين نظرا الى حالتي الممكن قبل قبول فيضه
وبعده كما تقدم فلا يتطرق التغير بذلك عليه بوجه اصلا بل التغير انما هو في
القابل قبل قبوله الفيض وبعده فلذا قال الامام الرضا في حديث سليمان بن
الجعفر الجعفري فيما نقله عنه الصدوق في التوحيد المشية من صفة الافعال
فمن زعم ان الله لم يزل مريدا شائيا فليس بموحد ووجه نفي التوحيد على ما بينه
بعض المحققين من اجل امتناع الازلي عن قبول الفيض فعلى تقدير ثبوته يكون
الها ثانيا فخروج معتقده عن التوحيد من حيث لا يعلم وفي التوحيد والعيون
عنه عليه السلام له معنى الربوبية اذ لا مربوب وحقيقة الالهية اذ لا
مألوه ومعنى العالم اذ لا معلوم ومعنى الخالق اذ لا مخلوق الحديث ومرجع
المعنى الى صفات الذات التي لا ينفك عنه سبحانه بحال واما الفعل فيتصف
سبحانه بكل نقيضه باعتبار الصدور واللاصدور وعن غاية [illegible]

الهُهم من بعدِها قد استسوا   نسبةَ الحادثِ عنهُ قدّسوا
ليسَ نقدا بين غيرها آفاذِ   لبطُ غيرا بذي ثابتٌ غيرُ لذاذِ

نسبة الرب الى كل سوا — اختلاف باختلاف ما سوى

عقل مرء ليس ذا ربط انبسط — فاستمع سلم لامر قد سقط

نسبة الرب الى ما قد عداه — ليس يحويها قياس ما سواه

كل يوم هو في شأن يريد — وحدة الحق بذاك لا يريد

قوله في كل شيء شاء كن — ليس ملزوم انثلام خندصن

سبل الكثرة نهج واحد — واحد رب مجيد ماجد

هو قيوم لكل ما سواه — وغني ملجأ الكل اله

مرجع الكثرة كلا اجمعين — فالى الواحد صنه باليقين

وبذاك نص مولى العالمين — سيد السادات زين العابدين

حاصل الكلام فيما تضمنته هذه الابيات انهم يحملون نسبة الحادث
الى القديم بناء على استحالة تخلف المعلول عن العلة التامة مع قولهم ان
لا مؤثر في الوجود الا الله فقد ردوا باوهامهم ترتيب المخلوقات
والمكونات الصادرة عن جناب القدس تنزيها بزعمهم وحدته المقدسة
عن الانثلام بتكثر المعلولات من حيث ان نسبته الى كل واحد واحد غير

النسبة

النسبة الحاصلة بالنسبة الى الآخر وما قدروا الله حق قدره اذ لا سبيل للعقول
الى حقيقته نعته ولا يهتدي النهى الى حق وصفه ذاهلين عن ان تكثر الاعتبارات
وتعدد الاضافات غير موجب لتكثر الذات بوجه اصلا بل الرحمن على العرش
استوى والمراد به على بعض المعاني استوا النسبة الى كل ما سواه بناء على كون
المراد من العرش جميع الكائنات كما هو احد اطلاقاته فملاحظة الربوبية
نسبة واحدة بالنسبة الى كل كائن واختلاف الماهيات في استعداد القبول تفاوت
الاختلاف في الخروج عن ساحة العدم من غير تخلف عن الفاعل الجاعل في شيء
من الاشياء فكما ان اختلاف المستضيئ لا يلزم منه اختلاف الضوء ولا يصير
تلونه نظرا الى العوارض العارضة موجبا التلونه في نفسه فكذا فيما نحن فيه
والتمثيل من باب الاستيناس ودفع الاستبعاد لا من باب الاستحسان والقياس
اذ لم يكن مجرى لهما في اوامره تعالى ونواهيه المتعلقة بافعال المكلفين من
مخلوقاته فكيف يجري في ذاته وصفاته بل هو في عدم جريانه فيهما اولى
واحق بالامتناع بل عند اللبيب العارف ارتباط المعلولات جميعا
انما هو بالمعلولية ونسبتها اليها بالقيومية المطلقة ولعل الى مثل هذا المعنى
وقعت الاشارة في بعض فقرات الصحيفة الكاملة بقوله عليه السلام لك

يا الهي وحدانية العدد واليه يرشد ما قاله بعض المحققين من العلماء عند
المسئلة عن مثل هذه المسئلة ان صدور الكثرة عن الواحد الفرد الاحد من حيث
انه واحد والوصول الى حقيقة المعنى يحتاج الى فهم يحتجز ثانية ومنه الاستمداد
والعصمة من مزال الاقدام والظاهر كفاية التصديق في امثاله بما صدر
عن لسان المعصومين في مقام الارشاد وعلى الاجمال فيجتهد في تحصيل علم
اليقين الى ان يصل بنور الشهود الى عالم النور فيشاهد بعين البصيرة
حقايق الامور والى الله المفزع في الميسور والمعسور واما حديث التخلف
فستطلع على حقيقة جوابه فيما يليه ان شاء الله العزيز والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه وآله وسلم

اقسام التقدم قد رويت — ذا التقدم ليس مما قد حويت
لا دليل لانحصار ستة — بالحقيقة ثم ذا في بيت
ذا التقدم قلت استفيد — في وجود وانعدام قد ابيد
سرمدي الذات في دهر الدهور — قبل كل حادث غير عصور
كل معلول بمثل ذا كل — كاينات مبدعات لا تعل

اعلم ان التقدم وهو السبق على اقسام خمسة عند الحكماء تقدم بالعلية وهو

تقدم

تقدم السبب على المسبب كتقدم حركة اليد على المفتاح وسماه الشيخ
في بعض مباحث الشفاء وكذا في الاشارات تقدما بالذات وتقدم
بالطبع وهو تقدم العلة الناقصة على المعلول ومثلوه بتقدم الواحد
على الاثنين قالوا ان العقل يحكم بان لا تحقق للاثنين فالانفكاك بينهما
من حيث التقدم بالطبع واطلق الشيخ على هذا ايضا التقدم بالذات
كالاول وقد يعكس التسمية بينهما ولا مشاحة في الاصطلاح و
مصطلح الشيخ مبناه على ملاحظة معنى جامع بينهما وهو تقدم المحتاج
اليه على المحتاج وتقدم بالزمان وهو تقدم السابق الغير المجامع للمسبوق
سواء كان عدم الاجتماع لذاتيهما كتقدم الحادث في الامس على
ما حدث في اليوم فهذا التقدم يعرض اولا وبالذات لاجزاء الزمان
وبالعرض لما نسب اليها اذ الانقضاء والتصرم بذاته في الموجودات
بحيث لا يجتمع اجزائه في الوجود منحصر في الزمان وتقدم بالرتبة
على المشهور وقد يقال له التقدم بالمكان والوضع ايضا وذلك
انما يكون بين اشياء مرتبة بالنظر الى مبدء محدود سواء كان بالحس كتقدم

الامام على المأموم او بالعقل كتقدم الجنس على الفصل باعتبار العموم
وبالعكس باعتبار الخصوص او النوع العالي على النوع المتوسط كذلك
وتقدم بالشرف كتقدم العالم على المتعلم والفاضل على المفضول والرئيس
على المرؤس والمتكلمون زادوا فيهما آخر تقدما بالذات تحت بالرتبة وتحت
الرتبة بالوضع وفضلوه من التقدم بالزمان حيث خصوه بما يكون
الزمان خارجا عن السابق والمسبوق فيكون ح مختصا بالزمانيات
وجعلوا التقدم الواقع بين اجزاء الزمان من هذا ولم يحصروه فيه
ايضا بل جعلوا تقدم عدم الزمان على وجوده ايضا من هذا القبيل
قالوا ان هذا النوع من السبق ليس من سائر اقسام التقدم اما الزماني
فواضح اوليس للزمان زمان آخر ولا بالعلية ولا بالطبع ولا بالرتبة
ولا بالشرف لعدم منافاة الاجتماع في الوجود فيكون قسما آخر
واقسام التاخر ايضا تستعلم بالقياس الى اقسام التقدم فانهما متضايفان
ومن معرفتهما تستعلم اقسام المعية ايضا وفسروها بمعنى لم يوجد فيه التقدم
والتاخر بما بينهما الخمسة المشهورة فبالعلية كالعلتين مستقلتين لمعلول واحد
نوعي وكمعلولين لعلة واحدة عند المتكلمين او من جهتين عند الحكماء

وبالزمان

وبالزمان كمجتمعين من الحوادث في زمان واحد وبالطبع كعلتين ناقصتين
لمعلول واحد وبالرتبة العقلية كنوعين متباينين في العموم والخصوص
او الحسية كمتحاذيين في المكان وبالشرف كعالمين متساويين في العلم وقد
يبلغ المتعلم الى درجة معلمه بل قد يزيد عليه وينعكس الامر ولا امتناع في
اجتماع اقسام ما ذكر من التقدم غير الزمانية الذاتية على مصطلح المتكلمين
بل قد يجتمعان وقد ينعكسان فانه لا امر عارض فحق فالتاخر بالزمان يمتنع ان
يكون الزمان ظرفا لهما او بالرتبة و بالشرف يمكن ان يصير متقدما مع
بقاء الهوية فاذا تحققت ما ذكر فاعلم انه قد وقعت الاشارة في المتن
الى ردّ ما قيل من ان تقدمه سبحانه على العالم ليس في الاقسام الخمسة
للتقدم الا التقدم بالعلية لاستلزام كل من الا ربعة الباقية ظرفا يشملها
ويحويهما ويدخلان تحته وذليس سبحانه محاطا بل محيطا بكل شيء فلم يبق
من اقسامه الا العلية التي قال بها الحكماء ولو كان تقدما زمانيا
كما هو مقتضى كلام المتكلمين للزم قدم الزمان وان يكون قبل الزمان
زمان آخر والجواب بالمنع عن الانحصار لعدم قيام برهان فيه بل ما ذكره
من باب الاستقراء لا الحصر العقلي الدائر بين النفي والاثبات فما المانع

من ان يكون تقدمه سبحانه عما وراء ذلك وسماه بعض المحققين بالتقدم
بالحقيقة ولعل له هذا المخفي بسبب السيد الداماد في بعض مباحث
القبسات حيث سماه بالتقدم الانفرادي السرمدي فان قيل لكل مرتبة
ملاك به يتقدم المتقدم على المتأخر ولا يجتمعان باعتباره هذا الملاك
فما ملاك تقدم ذاته سبحانه على العالم يقال انه ملاكه نفس ذاته مع ذاته
مع عدم العالم الذي هو من مصححات معلوليته ومن مقتضيات استفادة
الوجود الخارجي من علته وبعد وجوده يرتفع العدم ويكون الواجب
مجامعا معه فيه فذاته سبحانه مع عدم العالم الواقعي متقدم على وجود
العالم المستفاد من ذاته تعالى فتأمل ثم اشار الى برهان ذكره السيد
الداماد في هذا المقام وهو ثبوت تقدمه سبحانه على الحادث اليومي
تقدما سرمديا وتأخر الحادث عنه تأخرا دهريا ويمتنع تخلل الزمان
بينهما والا لزم كونه سبحانه داخلا تحت الزمان تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فتبين ان كل المبدعات والكائنات في مرتبة هذا الحادث اليومي
في التأخر عن المبدع الفعال تأخرا صريحا فتثبت واذ قد احطت خبرا
بما ذكر ظهر لك الجواب عما ذكره بعض الحكماء من ان كل حادث فله

ما يسبق

ما يسبق على وجوده واقسام السبق منفية هنا الا الزمان فكل حادث يستدعي
سابقية الزمان عليه فلو كان الزمان حادثا لزم ان يكون زمانيا وهو محال
وان كان قديما لزم قدمه ومن قدمه يلزم قدم الحركة فانه مقدارها ومن
قدم الحركة يلزم قدم الجسم فانها صفة عارضة له وبيان ظهوره من منع
انحصار الاقسام اولا كما عرفت ومن منع كونه زمانيا بل ذاتيا فلا
وزمانا آخر يحويها فعرفنا انشاء الله تعالى العزيز

ثم لو قلنا بكون للزمان   ليس مستدع زمانا كالمكان

اشارة الى دفع شبهة اخرى اوردها بعضهم وهي ان العالم لو كان متصفا
بالحدوث الزماني لزم ان يكون للزمان زمان آخر لانه من العالم وننقل الكلام
اليه ذلك ويلزم التسلسل والتسلسل باطل بالبراهين السابقة الدالة على استحالته
فما يلزمه ايضا باطل والجواب انا لا بعد ما نسلم تحقق كون خارج للزمان لا مكان
ان يكون من الامور الاعتبارية الحاصلة من حركة الفلك الاطلس ولو سلم
فحلولها في ظرف الزمان فهو مستدع للزمان واما الزمان نفسه فغير
مستدع لزمان آخر كما في الكائنات مع الفلك المحيط بالكل والتحقيق
ان ليس المراد من القضية القائلة بالحدوث الزماني للعالم كون جميع ما في

العالم حادثاً زمانياً بل المراد عند المحققين كون حدوثه كحدوث الزمانيات
التي لا يجتمع المتقدم مع المتأخر في آن واحد ولو كان بالفرض والتقدير كما تقدم

صادر الاول تسليم المقال ... ما على الغير وقوف كل حال
لكن المعلول في فرض الوجود ... ازلاً لا يقبل فيض الودود
مثل ما ادعت تقدماً للنور ... نفس امر هكذا قل في الظهور
والتخلف محال عن تمام ... ولاستحقاق معلول لمقام
قوة فيما سواه مستطر ... ومن الفعل فما فيه الاثر
ان هذا من كلام في الشفاء ... اذ عنى انه عين الصفا

وفيه اشارة الى دفع وهم آخر وهو ان بقاعدة الامكان الاشرف نقول
الوجود الصادر الاول البريء عن القوة والاستعداد المستدعي
للفيض الازلي من غير توقف على شيء آخر لفقد واسطة اخرى هنالك
فاللازم ان يكون ازلي الوجود وان لم يكن في مرتبة ذات الفياض
الوجود وواجب الوجود ذي النعم والجود والا لزم تخلف المعلول
عن العلة التامة وهو محال والجواب ان ما قلته على تقدير التسليم فهو ممنوع
لما في قوة الامكان لكونه غير خارج عن حده بل مستفيد بها من فيض

جو

جودها القدر خال في حد ذاته عن كل كمال ووجوده غير ماهيته وقد بنيتي ان المعلول
والمفعول لا يقبل الوجود الازلي بل يستحيل عليه ذلك والمحال غير قابل للوجود
لكونها متعلق نون الصواب وقاعدة الحساب وذلك كما تقرر عند طائفة
الالهيين في التقدم الذاتي للعلة الازلية على جميع معلولاته وان ليس لشيء
منها ولو كان الصادر الاول الوصول الى حد ذاته وحقيقة تعالت فما المانع
من ان يكون كذلك في الوجود الخارجي الذي من ضرورياته
وان لم يسبقه العدم الواقعي الخارجي الا الفرضي فاذا لم يكن المعلول في
حد قبول الفيض الازلي لا يلزم تخلف المعلول عن العلة التامة فان قوة
القبول من اجل شرائطه وذلك غير مناف لتمامية الفاعل جل شانه وعم نواله
وما قاله بعض المحققين ان استفادة الوجود بحسب نفس الامر التي هو من
مصححات كون الشيء معلولاً لا يتصور بغير ان يكون المعلول في حد الوجود
بحسب الواقع وليس لاحد القول بامتناع مطلقاً للتخلف والا يلزم
ان يكون المعلول في مرتبة العلة وليس فليس ومثلوا لذلك بالنقطة
اذ ليست لها مرتبة من الوجود غير انها طرف الخط فلو تخلف عن تلك المرتبة
تلزم التخلف المستحيل واما لو تخلفت عن مرتبة الخطية فليس لاحد ان يقول

بتخلفها المحال بل هذا التخلف من متممات المطلوبية ولك ان تجري نظير هذا المثال

في كل الموجودات المقيدة كل بقيد يخصه واشار بقوله فوقه فيما سواه الخ

الى تعميم نفي الفعلية عن كل ما هو في حوزة الامكان فان كل ممكن يحتاج الى

شيء آخر يجعله موجودا بالفعل فيدوم افتقاره اليه بدوام امكانه وان عرض

عليه ان يجب وجوده بغيره فهو شبه مركبة مما له من ذاته وهو الامكان ومما له

من غيره وهو الوجوب فكل ممكن غير بسيط الحقيقة لتركبه اللازم من امكانه

ووجوده فلذا قال الشيخ في الشفاء لا شيء غير واجب الوجود بريء عن ملابسة

ما بالقوة والامكان باعتبار نفسه فهو الفرد قال السيد الداماد في القبسات

ان وصف الحدوث اي كون حدوثه ووجوده من بعد العدم انما يكون من اقتضاء

نقصان جوهر الذات وقصور ذاته عن استحقاق قبول الشيء بعد القدم لا من

تلقاء صنع الفاعل وانحاء الحدوث في ذلك سواسية

لم يمض وقت زمان في الازل   خص فيما قد اراد ما حصل

ما العجز منع ما لا يحتمل   فيضه كل قبول اشتمل

هذا جواب عما اورده على المليين من لزوم الترجيح من غير مرجح على القول بالحدوث

لتسوية الاوقات المقدرة بالنسبة اليه مع تمامية الفاعل المؤثر والباعث لا

خصوص

خصاص الحدوث بآنه وبجواب ان العدم الممتد لا وجود لها حتى يطلب الترجيح

في آناتها ولذا قال المحقق الطوسي ره ولتخصيص الحدوث بوقته اذ لا وقت

قبله فلا يلزم الترجيح من غير مرجح لان الاوقات التي يطلب فيها الترجيح معدومة

موهومة ولا تمايز بين اجزائها الوهمية حتى يطلب الترجيح فيها وهذا الجواب

لا يخلو عن نظر والمعول على ما ذكره في النسبة الاخيرة وهو ان اعطاءه

حين ما اعطى من اجل قابليته واستعداده المقتضي له ومنعه لعدمهما

فيه فلا بخل ولا عجز ولا نقص في فيضه الكامل وسيبه الشامل بوجه

اصلا وذلك نظير الفيوضات الحاصلة من المبدء الفياض على قابليات

الممكنات فيما لا يزال على تتالي الآنات فهل الافتراق بينها بعد اشتراكها

جميعا في مادة الامكان الا التفاوت فيما بينها وما فيها في حسن قبول

ما يفيض عليها جاعلها وواهبها وان كان الافتراق بينها من وجود آخر فيها

لا يضر المدعى فتدبر تعرف فتبارك الله الملك الحق القديم الازلي السرمدي

ان ابيت جل شانه المتعال   قلت استعداده فرض محال

كلما قد امكن فيه حصل   ما اليه انتظار اتصل

ايتقع ما عورض ذاك الكلام   في المبادي العاليات بالتمام

ذا عقولٍ وسماواتٍ بدت　　　فلأيٍّ درجاتٍ قيدت

اشارة الى معارضة يعارض بها ما ادعوه من ثبوت الفعلية
للعقول عندهم وارتفاع القوة والاستعداد بالمرة عنها وحاصل
المعارضة انه على تقدير تسليم قولهم فما الذى خص كل منها بدرجة
واخص كل واحد منها بمرتبة فهل الاختصاص الا لعدم استعداده
الخاص لما فوقه من الاساس لم يزيد كما لا يعتادونه فوقع الاضطرار الى التمسك
بالقوة والاستعداد من دون مضايقة كى يحصله يتخلص عن الالزام
فليقل بذلك فى دفع ما ارتضاه لنفسه من المحال واليه المثال نعم غاية
ما اثبتوه على زعمهم ان يكون خاليا عن القوة والاستعداد التدريجى
الحاصل للماديات وذلك غير مثمر للازلية بحال ثم بعد ما فرغ من
بيان طرق التفصى عن الشبهات شرع فى تعداد ما اورده المتكلمون
عليهم من المناقضات فى مقابل ما عدده من المعضلات فقال

فى اختلافات مدارات النجوم　　　نسب مرعية فيها تقوم
لو يكن كل قديما الازل　　　لا استوت ذلك من فرض محال

واشار بما ذكره الى بيان ما اورده بعض المتكلمين عليهم كما ذكره الغزالى فى التهافت

وهو ان القول

وهو ان القول بالقدم مستلزم لاثبات دورات للافلاك لا نهاية لها لا عدد لها
ولا حصر لآحادها مع ان لها سدسا ونصفا وربعا فان فلك الشمس يدور فى
سنة دورة واحدة وفلك زحل فى ثلاثين سنة وفلك المشترى فى اثنى عشر
سنة فيكون ادوار الشمس ثلث عشر ادوار زحل ونصف سدس ادوار
المشترى هذا مع تساويها عندكم فى اللانهاية بل يتساوى فى هذا
المعنى الفلك المكوكب وهو الثامن والحال انه يدور فى كل ستة وثلثين
الف سنة دورة واحدة مع الفلك الاطلس الذى يدور كل يوم مرة
فى غاية السرعة لعظم محيطه وفى العشيات انهم قدروا ان يقال احد واحد
يتحرك الفا وسبع مائة وثلثون فرسخا مقعره والله يعلم بالتحرك
محدبه وهذا المحال انما نشاء من القول بالقدم فيكون محالا لاستحالة
لازمه ولعدم القائل بالفصل يلزم عليهم القول بحدوث العقول
والنفوس ايضا ويبطل ما ذكره دليلا على صرع المدعى ويقول فيما سواه على ادلة اخرى ثم اعلم

ثم قل شفع ووتر الدورات　　　او هما او لا هما فى الحركات
والاخير باطل مثل الاول　　　عن محال القول عقل اعتزل
صار شفعا وترهم بالواحد　　　وكذا العكس بفرض الواحد

استحيل كل فرض عند ذا ... ما سواه ينبغي ان يؤخذا

وفي هذا الابيات اشارة الى الزام ومعارضة اخرى ذكرها الغزالي
في تهافته عليهم ان يقال اعداد آحاد تلك الحركات الغير المتناهية
عندكم في الدورات جملة اما ان يكون شفعا او وترا او هما او لا هما
والفرض محصور غير خارج في لحاظ العقل عنها ولا فرق بين المتناهي
وغير المتناهي في هذا المعنى والشقوق المفروضة كلها باطلة قطعا
اما بطلان الاخيرين فواضح لاستلزام اجتماع النقيضين وارتفاعهما
وكذا الاولين من الشفع والوتر فان الوتر يصير شفعا بالواحد كما ان
الشفع يصير وترا به فكيف يصح ان يعوز ما لا نهاية له بالواحد
لا يقال ان القول بان الغير المتناهي من الدورات مركبة من آحاد غلط
فانها معدومة لانقراض الماضي وعدم حضور المستقبل فلا موجود
فيهما حتى يعبر عنها بالجملة فانه يقال له كل عدد ينقسم الى الشفع والوتر
بالضرورة غير خارج عنها البتة سواء كان متناهيا او غير متناه فاذا
فرض عدد لزم الاذعان بانه اما زوج او فرد ولا مدخل للوجود والعدم
في تحقق صفته واضافة احدهما ويمكن ان يجري هذا الالزام على ما ذكره

جمع من الحكماء في لا تناهي النفوس البشرية مع وجودها الآن فيمكن ان يفرض الحلول والترديد في عددها

زائد او ناقص الليل النهار ... او سواء لا مجال للفرار

او لا اخترت فاذعن للحدوث ... في الاخير اندفاع للبحوث

واشار الى ما نقل عن شيخنا الكراجكي من تلاميذ السيد الاجل
المرتضى ره في كنزه وحاصله انا لو نظرنا الى ما سبق من الليالي
والايام فلا يخلو الحال من ان يكون الايام اكثر عددا من الليالي
او بالعكس او يكونان متساويين وعلى الاولين الذين عبر عنهما
بالاول باشتراكهما في عدم التساوي يلزم تناهي الناقص وكذا
الزائد لانه زائد بمقدار متناه وعلى الاخير يحكم عنهما اكثر عددا
من احدهما بلا شك ولا شبهة وهذا يشهد على تناهيهما اذ مع فرض
كون كل منهما غير متناه في حد نفسه ما يتصور عدد اكثر منه وقد
علم ان المجموع منهما اكثر من كل واحد منهما بالبديهة فعلم
من ذلك تناهيهما وبهذا البرهان استدل على حدوث جميع
افراد الاجسام وعلى نظيره نبه الصادق عليه السلم في كلامه
مع بعض الملحدة فتأمل انشاء الله تع

فَلَكًا اٰخَرُ فَرْضُ مُمْكِنْ … فَوْقَ افْلَاكٍ وَذَاكَ بَيِّنْ

هٰكَذَا الْمِقْدَارُ فَوْقَ مَا وُجِدْ … مُمْكِنٌ قُلْ بَعْدَ ذَاكَ فَاسْتَبِدْ

وَكَذَا عَقْلٌ بِمَا قَبْلَ الْعُقُولِ … اَوْ بِمَا زَادَ افْرِضَنْ فِي الْعُقُولِ

ثُمَّ لَوْ رَدُّوا عَلَى فَرْضِ الْاِلٰهِ … لَا مَجَالَ فِيهِ عِنْدَ الْاِنْتِبَاهْ

اِنْ تَقُلْ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْحَالَتَيْنْ … بَيِّنَنْ فِي الْبَيْنِ فَصْلًا دُونَ مَيْنْ

الْعَجْزُ اَمْ لِبُخْلٍ الْعَدَمْ … اَوْ لِنَقْصِ قَابِلٍ فَيْضَ الْقِدَمْ

كُلُّ مَا قُلْتُهُ فِيهِ لُزُومْ … شُبْهَةً حَلَّتْ فَحَقًّا الْتَزِمْ

فِي حَدِيثٍ وَقَدِيمٍ افْتِرَاقْ … بَيِّنَنْ الْفَرْقَ مِنْ غَيْرِ شِقَاقْ

وَهُمُ تَعْطِيلٌ عَلَى وَهْمِ خَيَالْ … فَصْلُ اَعْدَامٍ كَذَاكَ لَا مَجَالْ

وَكَذَا التَّبْخِيلُ فَاسْمَعْ يَا وَلِيّ … عِنْدَ لُبِّ ذٰلِكَ اَمْرٌ جَلِيّ

وفي هذه الابيات معارضة لما اسنوه في المقالات السابقة من لزوم البخل والتعطيل وكون الممكن ازليا لكون الامكان كذلك وان يكون للزمان زمان اخر الى غير ذلك من الهفوات وتبيين المراد انه يمكن لنا ان نفرض فلكا آخر فوق الفلك الاطلس الموسس لاساس

الزمان فيقال انه ممكن وكل ممكن مقدور سبحانه وعلى تقدير وجوده يلزم جميع ما التزموه في حدوث العالم فما اجبتم به عن تلك الايرادات فهو جوابنا وتقريب من ذلك فرض ما اوجد من الافلاك اعظم مما كان وكذا القول في فرض عقل آخر مع العقول وبعدها لائق بقاعدة الامكان الاشرف فثبتنا ما ذكرناه من المخلوق المقدس والمصنوع الاقدس فانه يرد انه على تقدير تسليم تلك القاعدة فهو غير موجب لتوحيده في كل مرتبة من المراتب التي وضعتموها مع امكانه بضرورة العقل وعدم وجوده عندكم ايكون الله تعالى عاجزا ام بخيلا في منع الفيض الاقدس او لعدم قابلية ماهية ما ذكر وماهيته لقبوله فان تعتصموا عن هذا الالزام بالاخير وقلتم ان التعطيل والبخل المحال انما يلزم فيما اذا كان للمعلول رتبة الوجود وقابلية قبول الجود فهو جوابنا فيما التزموه علينا هذا مع ان الزامكم غير مناف للعلولية والزامنا اياكم فيما سبق مناف لها فالامر علينا اسهل وانتم قد وقعتم فيما هربتم منه والحمد لله واشار بقوله في حديث وقديم افتراق بظهور الفرق في الفرض المذكور على تقدير

تحققه بين الفلك القديم والحديث في الفرض قطعا مع ان كلا منهما خارج
عن الزمان اما الحديث فظاهر واما القديم فلانه موسس الزمان فما هو
جوابك في التفصي عن الالزام فهو جوابنا لتبيين المرام لا يقال كيف يؤخذ البرهان
من مجرد التوهم والخيال من دون اصل ولا حقيقة لذلك بحال فانه يق
ان هذه الطريقة شائعة بين الحكماء والمليين كاخذ برهان التطبيق
وغيره وكلامهم في فرض الالهيين فاذا جاز فرض وقوع الممتنع ففرض وقوع
الممكن اولى واحق وقال الصادق عم في جواب ابن ابي العوجاء بعدما استدل
بالتغير على حدوث العالم فقال ان الاشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم
انه متى ضم شيء منه كان اكبر وفي جواز التغير عليه خروجه عن القدم
كما ان تغيره دخوله في الحدث ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم والتحقيق
ان ما يكون فرض وجوده مستلزما للمحال فتحقق وجوده يكون اولى با
الاستحالة وما لا فلا فتامل تعرف انشاء الله ويمكن تاييد المقال
بقوله سبحانه في سورة ابرهيم والفاطر إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وبقوله تع في سورة يس
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ

وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
ما ورد في بعض الاخبار من ايجاد الله سبحانه عالما آخر بعدما فرغ من
معاملة اهل الجنة والنار وهو ما رواه الصدوق ره في آخر كتاب
الخصال عن جابر باسناد فيه الحسن بن محبوب وهو ممن اجمعت
العصابة على تصحيح ما يصح عنهم عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد قال
سألنا ابا جعفر ع عن قول الله عز وجل أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ
فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ فقال يا جابر تاويل ذلك ان الله عز وجل اذا
افنى هذا الخلق وهذا العالم واسكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار
جدد الله عز وجل عالما غير هذا او جدد خلقا من غير فحولة ولا اناث
يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم ارضا غير هذه الارض تحملهم وسماء
غير هذه السماء تظلهم الحديث وفي حديث آخر في الباب السابع منه عن
العلاء عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام انه قال لعلكم ترون انه اذا كان
يوم القيمة وصير الله ابدان اهل الجنة مع ارواحهم في الجنة وصير
ابدان اهل النار مع ارواحهم في النار ان الله تبارك وتعالى لا يعبد
في بلاده ولا يخلق خلقا يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ويخلق لهم ارضا

محلهم وسماء تظلهم لبس الله عز وجل يقول يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات مطويات وقال الله عز وجل افعيينا بالخلق
الاول بل هم في لبس من خلق جديد وعن كتاب الحسين بن سعيد
عن ابي خالد القماط قال قلت لابي عبد الله ع او لابي جعفر ع اذا دخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمه قال ابو جعفر ع ان اراد ان يخلق الله
خلقا ويخلق لهم دنيا ويردهم اليها فعل ولا اقول لك انه يفعل قال
الفاضل المجلسي ره بعد نقل امثاله يفهم من سياقه انه سبحانه يخلق خلقا
لكن الامام لم يصرح به تقية وخوفا من التشنيع وقال لم ار احدا تعرض
لم نفي ولا اثبات وادلة العقل لا تنفيه بل تعضده انتهى كلامه
ره والغرض من ذكر امثالها لنا ابداء الاحتمال ولا اقول بالاحتمال والله
المتعال وما ذكره جماعة من الحكماء في امتناع تعدد العوالم سوى هذا
العالم فهو محض الخيال ولا يمكن لنا الاحاطة بمقدوراته سبحانه
بحال كما قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلذا تصدى
سلطان المحققين في اواخر تجريد العقائد لمنعه ولعله يجيء
الكلام مفصلا في هذا المرام في مبحث المعاد

لو تشبثت به في كل حال — في امتناع قد دخلت في الوبال
البخل منع فيض الممتنع — ام لنقص قابل قل واستمع
اسهل الامرين ما اختص الطرف — فافهم المعنى فقد نلت الشرف
ليس لا المقدور نفي المقدرة — في كلام الشيخ هذا مسطرة
بل دوام في نشاء ذاته — لا يحيط النفس معلولاته
هكذا قال امام المتقين — في جواب الكعب خذه باليقين
وكذا الالزام في فصل العدم — فعليهم وارد صن بانه قد تم
قل لهم لو كان امكان الازل — يمكن بالفرض حدوث الاول
ان تقل لا فاللجاج باهر — ونعم ان قلت فصل ظاهر
لكن الحق احق باتباع — وبتقدير العدم ليس امتناع
مثل ما قال امام الاتقياء — صادق من اهل بيت الاصفياء
ان بين النفختين في الفتة — اربع قل انت ما انت المائة
قبل خلق الارض قبل السماء — قبل عرش قبل كرسي اعلما
قبل لوح كان من قبل القلم — وبما قبل الجنان كالعلم

خَلَقَ نُورٌ لِنَبِيٍّ مُحْتَرَمْ ... لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ سِوَاهُ مُحْتَشَمْ

ثُمَّ مَا بَعْدَ السِّنِينَ فِي الْحِجَابِ ... خَلَقَ الْخَلْقَ بِتَصْرِيحِ الْخِطَابِ

غَيْرُ تَقْدِيرِ الْعَدَمِ هَلْ مِنْ مُنَاصٍ ... صَدِّقَنَّ قَبْلَ أَخْلَاصِ الْخَلَاصِ

وَالْغَرَضُ نَفْيُ اسْتِبْعَادِهِمْ ... لَا أَبَانَ نَعْتًا اسْتِبْعَادِهِمْ

خِلْوٌ عَنْ مَخْلُوقِهِ الرَّبُّ الْمَجِيدُ ... وَكَذَا الْمَخْلُوقُ خِلْوًا يَا رَشِيدُ

في هذه الابيات بيان ايرادات والزامات اخرى يرد عليهم امّا
في توهّم لزوم التعطيل والتبخيل فبان يقال انا لو فرضنا عدم العالم و
قطعنا النظر عن وجوده فعدم تعلق قدرته وفيض وجوده لا الممتنعات
هل يكون لعجز او بخل او يكون من اجل عدم قبولها للوجود وعدم
استعدادها لان تستظلّ بالجود ولابدّ للحكيم الالهي ان يقول بالاخير
فكذا نقول فيما لا تحتمله ماهيات الممكنات فاللازم بيان عدم
امتناع قبوله عن فيض الازل لا الزام تعطيله وتبخيله سبحانه بجهل
وكذا نقول في لزوم فصل العدم فانه سبحانه كان ولم يكن الممتنع
ولابدّ للوجود والعدم في تعلّقهما من ظرف وجد فيه ولم يوجد
غيره فلابدّ ان يقولوا انّ ضرورة الظرف في التقدّم والتأخّر انّما هو

في الزمانيات

في الزمانيات لا فيما تنزّه عن الدخول تحته ولا نسبة للممتنع معه حتى
يدخلا تحت ما يشملها فمثل ذلك يجاب عمّا اوردتم علينا ويقال
انّ تقدّمه خارج عن الاقسام المشهورة للتقدّم كما تقدّمنا اليه الاشارة
ولم يقم البرهان على انحصاره في الاقسام المشهورة والاستقراء غير
مفيد لليقين ولا يكفي في البرهانيات التخمين وايضا لو كان امتناع الممكن
عن الوجود الازلي مانعا التعجيز سبحانه عن تناوله الفيض الازلي لكان
اللازم تعجيزه وتبخيله تقدّست اسمائه وامتناع الممتنع عن قبول
الوجود ازلا وابدا فما اجبتم به عن هذا الالزام فهو جوابنا واذ ليس ذلك
بتعجيز ولا تبخيل لجلال اسمائه كما يستفاد من كلام الشيخ الرئيس
في اواخر النمط السابع من الاشارات انه لا يلزم من انتفاء المقدور
انتفاء القدرة عليه بمعنى انّ اباء الشيء عن قبول موهبة الوجود لا ينفي
القدرة على ما يقبله من الممكنات فانه في جميع الكمالات فوق
التمام وفوق اللاتناهي بما لا يتناهى فانّ صفات ذاته عين ذاته
فكما انّ ذاته في نهاية التمامية واعلى مراتب الكمال بل فوق
التمام فكذا صفاته فان واجب الوجود في جميع صفاته بل انما ذلك

قد نشأ عن نحو حظه وخصته اصلا عن احتمال قبوله لا نقص فاعله و
خسته جوده في عدم شموله فكذا فيما نحن فيه لما تقدم من حالة
قبول الممكن عن القادر المختار الفاعل بالارادة قدم الوجود و
ازل الوجود واذ قد تبين ان امتناع الشيء عن القبول ازلا وابدا
لا ينفي القدرة ولا يكون منشأ لنقص قدرة القادر عليه فكذا ما
خص بامتناع القبول عن طرف واحد وهو الوجود الازلي الغير
المسبوق بالعدم الواقعي الخارجي ونظير ذلك ما وقع في كلام
الصادق عليه السلام في جواب بعض الملحدين حيث قال ليس هو قادرا
ان يظهر لهم حتى يروه فيعرفوه فيعبد على يقين قال ليس للمحال
جواب وفي حديث آخر عنه عليه السلام انه قال قيل لامير
المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير
ان تصغر الدنيا او يكبر البيضة فقال ان الله تبارك وتعالى لا ينسب
الى العجز والذي سألتني لا يكون وعنه عليه السلام في حديث آخر
انه جاء رجل الى امير المؤمنين عليه السلام فقال ايقدر الله ان يدخل
الارض في بيضة ولا تصغر الارض ولا تكبر البيضة فقال ويلك

ان الله

1

ان الله لا يوصف بالعجز ومن اقدر ممن يلطف الارض ويعظم البيضة واما
ما في حديث آخر نقله ثقة الاسلام في الكافي وغيره ان عبد الله الديصاني
سأل هشام ابن الحكم فقال له الك رب فقال بلى فقال اقادر هو قال نعم قادر
قاهر قال يقدر ان يدخل الدنيا كلها البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا
قال هشام النظرة قال قد انظرتك حولا ثم خرج عنه فركب هشام الى ابي عبد الله
عليه السلام فاستاذن عليه فاذن له فقال له يا ابن رسول الله اتاني عبد الله
الديصاني بمسألة ليس المعول فيها الا على الله وعليك فقال له ابو عبد الله
عما ذا سألك فقال قال كت وكت فقال ابو عبد الله يا هشام كم حواسك
قال خمس قال ايها اصغر قال الناظر قال وكم قدر الناظر قال مثل العدسة
او اقل منها فقال له يا هشام فانظر امامك وفوقك واخبرني بما ترى فقال
ارى سماء وارضا ودورا وقصورا وبوادي وجبالا وانهارا فقال له ابو عبد الله
ان الذي قدر ان يدخل الذي تراه العدسة او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا
كلها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة الحديث فالظاهر ان مبنى كلامه
عليه السلام فيه على مقدمات مسلمة الخصم كسرا لسورة حتى يستعد
لقبول الحجة وفي حل هذا الخبر مباحث شريفة لطيفة ليس المقام مقام ذكرها

وتقيدي صدر المحققين وغيره من شراح الكافي لشرحه في محله ولقد
مثل بعضهم في هذا المعنى مثالا لسهولة الفهم وهو انا لو فرضنا
ان شخصا من الانسان يكون قادرا على حمل الف من ولكن الف
من لم يكن موجودا حتى يحمله فلا يكون انتفاء الف من انتفاء القدرة
عليه اصلا فاذا لم يكن انتفاء المقدور نفيا للقدرة الحادثة لل
مخلوق فما ظنك بالقدرة التامة الكاملة في اعلى النهاية للواجب
الوجود في لا نهايات ايجاد الجود كما ان العالم الماهر في العلوم
المجرب بتشره اذا اتفق عدم الطالب منه التعلم والتمهر لا
ينسب الى جهل ولا بخل ولا تعطيل بل كل ذلك لازم على من في
عصره في خروجهم عن القبول ونابتهم عما ليس في وسعهم في المعقول
والمنقول فكذا فيما نحن فيه بوجه اسد وطريق ارشد ثم بين انه
سبحانه فيما يعقل دائما في الثناء ذاته وتمجيده وتقديسه وتن
تسبيحه على ما في تفسير العياشي قوله سبحانه سبوح قدوس
رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي وفي تفسير علي بن
ابرهيم في حديث طويل عن امير المؤمنين عليه السلام حين سئله كعب

الاحبار

الاحبار فقال كعب يا ابا الحسن اخبرني عن قول الله تعالى في كتابه وكان
عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا قال امير المؤمنين نعم كان عرشه على الماء
حين لا ارض مدحية ولا سماء مبنية ولا صوت يسمع ولا عين تنبع ولا ملك
مقرب ولا نبي مرسل ولا نجم يسري ولا قمر يجري ولا شمس تضيء وعرشه
على الماء غير مستوحش الى احد من خلقه يمجد نفسه ويقدسها كما شاء ان يكون
كان ثم بدا له ان يخلق الخلق فضرب بامواج البحور فصار منها مثل الدخان
كاعظم ما يكون من خلق الله فبنى بها سماء رتقا ثم دحى الارض من موضع ا
الكعبة وهي وسط الارض الحديث وهذا مع انه ليس من شأن اولي الالباب
تطلب الاحاطة بفعال رب كما نص بذلك في قوله عز من قائل ولا يحيطون
بشيء من علمه ونظير ذلك ما ذكر الصادق في جواب بعض الملاحدة انا لو
وقفنا على كل شيء خلقه الله تعالى لم خلقه ولاي شيء انشاه لكنا قد ساويناه في
علمه وعلمنا كل ما يعلم واستغنينا عنه وكنا وهو في العلم سواء الحديث ولنعم
ما قال افلاطون الالهي في مجلس اسكندر الرومي حين سئل من حضره من الحكماء
عن كيفية الخلق على ما نظمه الحكيم النظامي بقوله ز چون كرد او كر بالا نشيمى
همان كو كند من توانستمى وجه التنظير والتأييد لما نحن فيه في هذا المقام

انه اذا لم يحط غاية علمنا بكنه حقيقة شيء من مصنوعاته ولمية الحكمة المرعية
في خلقه مع كونها من سنخنا ومع تحقق المناسبة بيننا وبينها والمشاهدة باعيننا
فكيف يكون حالنا فيما لم نشاهده ولم يصل اليه عقولنا ولا اوهامنا فيما
قبل خلق السموات والارضين والملائكة المقربين والكروبيين الطائفين
بعرشه المجيد فمن يجلو له وجه الله عصمنا الله واياكم من تساويل ابليس اللعين فظهر
ان وهم التعطيل قد نشأ من مجرد التخييل وليس فيه شيء من التجليل للرب
الجليل ثم اشار الى الزام آخر عليهم فيما اوموه على المليين من لزوم فصل العدم
بين وجود الواجب قديما وبين حدوث الممكن حديثا وان لابد فيه لشهد
ببطلانه الضرورة ان لا ذات للعدم المحض حتى يفصل بين شيئين موجودين
فيجاب عن قولهم هذا بالمعارضة اولا فيقال لهم على تقدير امكان الازل هل
يمكن عندكم حدوث الاول الذي قد قلتم بقدمه لا فقد انكرتم البديهة
بل امكانه ومنكر البديهة غير مستحق للجواب فلذا قال الرضا ع كيف يستحق الازل
من لا يمتنع من الحدوث وان قلتم نعم فالفصل بينهما بما ذا فيرد عليكم ما هربتم
عنه اليه فلا بد في التفصي عن هذا المقال من القول بجواز تقدير العدم المكمم
كما ورد عن الصادق عليه السلام في جواب بعض الملحدة فقال افيلزم شيئ الزوج بعد

عدم

خروجه عن قالبه ام هو باق قال بل هو باق الى وقت ينفخ في الصور فعند
ذلك يبطل الاشياء وتفنى فلا حس ولا محسوس ثم اعيدت الاشياء
كما بداها مدبرها وذلك اربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك
بين النفختين وقد ورد اخبار كثيرة مستفيضة بل متواترة بالمعنى بين
الخاص والعام ودل عليه ظواهر الكتاب المبين المنزل من عند الرحمن
على الرسول الامين من الخلقة التدريجية للعالم فكلما توهموه من التعجيز
والتجهيل والتعطيل وفصل العدم لازم على مذهبهم ولا اقل في
المرتبة كما تقدمت اليه الاشارة فيما سبق ويؤيده كل ما ورد في بيان
اول الخلق بالفاظ مختلفة يعلم الراسخون في العلم وجه الجمع بينها منها
ما ورد مستفيضا من قوله ص اول ما خلق الله نوري وروى ثقة
الاسلام في الكافي باسناده عن مرازم عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال الله
تبارك وتعالى يا محمد اني خلقتك وعليا نورا يعني روحا بلا بدن قبل
ان اخلق سمواتي وارضي وعرشي وبحري فلم تزل تهللني وتمجدني
ثم جمعت روحيكما واحدة فكانت تمجدني وتقدسني وتهللني ثم
قسمتها ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت اربعة محمد واحد وعلي واحد

والحسن والحسين ع ثنتان ثم خلق ابنته فاطمة من نور ابتداها روحا بلا
بدن خلقهما مجردين وجعلهما واحدة جمعهما في بدن مثالي نوراني
لاهوتي وتفسيمهما تفريقهما وجعل كل منهما في بدن شهودي ج
جسماني واستحالة تعلق الروحين ببدن واحد انما هي في الابدان
الشهودية لا في الابدان المثالية اللاهوتية وما ذكره من المعنى لا يخلو عن
نظر ولعل ما لا تحقيقه علمه الى الله والراسخين في العلم على تقدير صحته
اولى واحوط وفي العلل عن رسول الله ص انه قال ان الله خلقني وعليا و
فاطمة والحسن والحسين قبل ان يخلق الدنيا لسبعة عام قلت فاين
كنتم يا رسول الله قال قدام العرش نسبح الله ونحمده ونقدسه ونمجده
قلت على اي مثال قال اشباح النور الحبر وفي البحار عن كتاب الانوار
لابي الحسن البكري استاد الشهيد الثاني ره عن امير المؤمنين ع انه
قال كان الله ولم يكن معه شيء فاول ما خلق نور حبيبه محمد ص قبل
خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والارض واللوح والقلم و
الجنة والنار والملائكة وآدم وحواء باربعة وعشرين واربعمائة الف عام
فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمد ص بقي الف عام بين يدي الله عز وجل واقفا

يسبحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر اليه ويقول يا عبدي انت
المراد والمريد وانت خيرتي من خلقي وعزتي وجلالي لولاك لما
خلقت الافلاك من احبك احببته ومن ابغضك ابغضته فتلألأ
نوره وارتفع شعاعه فخلق الله منه اثني عشر حجابا ثم ذكر تفصيل
الحجب وكيفية دخوله فيها وتسبيحه وتقديسه لله وكيفية خلق القلم والملائكة
بعد ذلك وكيفية خلق الجنة والسموات والارضين والعرش و
الارواح والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والنور والظلام
والحديث طويل وفي حديث المفضل في الكافي قال قلت لابي عبد
الله ع كيف كنتم حيث كنتم في الاظلة فقال يا مفضل كنا عند ربنا
ليس عنده احد غيرنا في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله وما من
ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق
الاشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ثم انهى علم ذلك
الينا وقوله في الاظلة لعله اراد بها عالم الارواح او المثال ولعل الظل
الخضراء كناية عن تلبسهم بمادة الامكان المستضيئة من نور الانوار
والله تعالى يعلم حقايق الاسرار وليس المقام مقام تحقيق امثاله ولعل

المراد بالاعوام فی امثال هذا المقام الاعوام التقديرية ولا استبعاد
فی طول المدة وامثاله يؤيد المطلوب فی الجملة فان عمدة الغرض اثبات
انقطاع وجود ما سوى الرب تعالى فی جانب الازل وكونه تحت
الحصر اياما كان ولا يضر اختلاف الاخبار فی التعبير عن المدة او فی
بيان اول الخلق ويحتمل ان يكون ناشيا من اختلاف العوالم او يكون
من باب تعدية الكلام على مقتضيات المقام وعلى حسب قابليات
المخاطبين وبقدر تحمل العقول من المغيبات من غير اعتبار مفهوم
العدد او لاختلاف تقدير الاعوام بايام الرب او الاخرة او الدنيا
او لغير ذلك وبالجملة الاخبار الواردة فی كيفية خلق بدو نورهم
والائمة المعصومين عليهم السلام واول خلق فی الدنيا
من طرق الخاصة والعامة فما لا يحصى وقد وصلت حد التواتر
ولا يفی بها المجلدات فضلا عن هذه الرسالة العجالة من ارادها فل
يراجع اصول الشيعة من الكتب الاصلية وقد جمع اكثرها بحر الكامل
والمولى الماهر الفاضل المجلسی ره فی مجلدات بحار الانوار وصرح
بتواترها وفيما ذكرها هنا كفاية لاثبات المدعى والحمد لله ويؤيدنا اصل

المطلوب ايضا ما نقل من المهج فی دعاء علمه جبرئيل النبی ص الاول والآخر
والكائن قبل كل شیء والمكون لكل شیء والكائن بعد كل شیء ومنه
فی حديث سلمان انه سئل جاثليق امير المؤمنين ع فقال اخبرنی عن الرب
فی الدنيا هو او فی الاخرة فقال علی عليه السلم لم يزل ربنا قبل ا
الدنيا هو مدبر الدنيا وعالم بالاخرة وفی حديث آخر كان اذ لم
يكن شیء ولم ينطق فيه ناطق فكان اذ لا كان الی غير ذلك
مما تأبى النفس عن ذكرها مخافة التطويل وايراث الملال وفيما ذكر
كفاية بعناية الله الملك المتعال هذا مع لزوم ما الزموه عليهم من
وجه آخر فان التعطيل والتبخيل لازم عليهم بعد خلق ما خلق
فی الازل وفراغه عن الامر فی الوهلة الاولى فانهم باوهامهم يسندون
جميع الحوادث الى العقل الفعال تنزيها لجنابه قدس ذو الجلال
عن الكثرة المباينة للوحدة باعتبار تعدد الجهات مع انه تقدست
اسمائه يقول كل يوم هو فی شأن وقد ثبت فی كتابه المنزل الذی لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه صغار الامور وكبارها
الی نفسه الاقدس بقوله يحيی ويميت ويميت ويحيی وانه هو الذی

يقبل التوبة عن عباده ويرزق من يشاء بغير حساب وامثاله ومقتضى
الاصل في الاستعمال الحقيقة فظهر ان ما قالوه ناشئ عن عدم التصور لانه
الصانع الجبار القدير بمجرد الخلق الحكم المتقن في بدو امره في الازل عن
العطية اللازمة عليه فيما بقي من بقائه دهر الداهرين ولا يصدق عليه
الجواد المطلق بما استوه عندهم بمحض عطاء واحد لم ينفك عنه وفقد الادلة منه

كلما قد تيق في هذا المساق … فلدى الانصاف صاف عن شقاق
انت ان سلمتها اذعنتها … شبهة عورضت ان اعلنتها
خذ باصل من يقين شفعن … بيقين عن رسول مؤتمن
نقض عقل دع وخذ خير السبل … في بيان الحق من عند الرسل
لا تعسف لا اسف من بعد ذا … اسف فيما سواه فانبذا

بعد ما فرغ بعنايات الله ثم وحسن توفيقه من بيان البراهين العقلية
والادلة النقلية ودفع الشبهات لتبكيت الخصم المجادل وتسكينه وتجهيله
بايراد المعارضات ارشد المستبصر الطالب للحق الحقيق الى مراوله الاهـ
تضافر وتبعد النفس عن ممارسة الاعتساف وهو الاخذ باصالة العدم
فيما اشتهر عندهم من محض العدم فان الاصل عدم طرو الوجود على مواد

جميع

جميع الممكنات ما لم يثبت اقتضاء العلة اياه على شرايطها الجامعة
لاستحالة التخلف عنها ووصولها الى حد الوجوب منها فالبقاء على مقتضا
مع تعاضده بالعقل والنقل احق واولى مما ابداه اوهام من ليس له كثيرا
اهتمام ولا قدم راسخ في حقايق الكلام فليس صالحا للابتنام لما قد عرفت
ان مقدماته فبينه وبياناته دلته مبتين جميعا على اوهام فاسدة و
خيالات واهية كاسدة ولا يغني من جوع فينبغي للاديب الاديب عنها
النزوع سيما من بعد معارضتها باو توقيفها مشفعا بما اتته طرا الرسل
وما نطقت به الكتب المنزلة من بيان السبل خصوصا ما ظهر من صفوا
الخلايق المنزه عن العلايق الذي قد دنا من مزيد فضله الكونين حتى
وصل في القرب الى منزلة القوسين وقد تحمل اعباء الرسالة وبعث للهداية
فكيف يظن بما ابداه في مقام النصيحة اعادا الفلاسفة وقد نص في شانه
رب العالمين انه ليس على الغيب بضنين وكيف لم يات بما لم يوجب التعظيم
وله لم يلق ما يوجب المعرفة الى امته وهو بهم رؤف رحيم وان القى الى
اوصيائه الطاهرين وخلفائه الراشدين كيف اهملوا تبليغه الى المسترشدين
وخواصه المؤمنين ولم يهملوا احقاير الامور وارشدوا الكل الى الميسور

والعقود فبكل العصور من غير قصور صيانة لهم عن الدنو في دار الغرور
وايصالا اياهم الى دار السرور فلم يبق لذوي الفطرة السليمة اذا الا
التسليم والاذعان الذي هو من لوازم التصديق والايمان فمن ا
اهتدى بعد البيان فهو المهتدي بعون الله المنان والا فليكتب
لنفسه فرضية ثانية عاطفا فرعها عن الشبهات الواهية كالمجادلين
متوسلا للاهتداء الى الجناب المقدس عن نعت الناعتين وقد قال
عز من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وكل من تامل
حق التامل في المسطور فان لم يحصل له اليقين لاستشراب قلبه
بما اعتاده من المشهور واستماع العاصية لعيون الجمود وقلة الحظ ولا
اقل معارضته ما توقعه برهانا بمثله او بخير منه فيتم في تلك التنبيه الشك
والريب فيما اعتقده ويصير قلبه ضيقا حرجا فيما اكتسبه فليتمسك
ثم ان كان من المسلمين بما قد جاء به الرسول الامين في كتابه المبين بكلام
مستبين فعسى الله سبحانه ان يهديه بذلك سواء السبيل ويتضح لديه
ما ساق اليه الدليل من فضل الجليل عما تفوه بزعمه للتجليل وانصف
من نفسك ايها الاخ الشفيق والرفيق لو فوق عدم الانفكاك احق

بالاستحالة

بالاستحالة او الانفكاك وهل آحاد من لم يثبت لهم الديانات احق
بالتصديق والموافقة ام اصحاب النبوات افمن يهدي الى الحق احق
ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ومن اقتدى بهم واقتبس من انوارهم
من آلاف الوف فحول الرواة الذين ناضوا برياضات الشرعية مددا و
نقلوا اليهم حتى اعرضوا عن زلات الاوهام ووصلوا في مدارج الا
فهام الى الدرجات العلى وسلوك سبيل العقبى وهم الاكثرون
عددا والاولون مددا وقد وصلوا الى اعالي المقامات وظهر عنهم
الكرامات ووصل من المعصومين اليهم التوقيعات الرفيعات
والكلمات البليغات حتى اطلعوا به كان انفاسهم على الاسرار
الغامضات المقفلات والعوايد الى شقات وذلك ابين من حد
التواتر وحكايات شيخنا المفيد حيوة ومماتا معروفة والتوقيعات
الواصلة اليه من الناحية المقدسة مشهورة وكذا الصدوق
والسيد المرتضى الملقب من جده الاعلى امير المؤمنين بعلم
الهدى وصاحب الكرامات السيد ابن الطاوس والشهيدين
السعيدين والمحقق الاردبيلي والفاضل التستري الذين شهد

جماعة من الثقات بعدم نظره في البلى بعد مماته عليه واضرابه وهل
يكون هذا مقام المتجلين المعطلين والمتحيرين بجناب القدس
عن كل وسمة ودرن بل لقد اولته لا يتطرق عليهم ذا الاحتمال على
زعم جماعة المبعدين عن الشرايع والاديان في اكثر الاحوال وان نسبوا
انفسهم اليهم في بعض الاحيان فاذن بعد تعمق النظر واعمال قضايا
الفكر الى الفريقين احق بالامن عند فتح البصر منهما لو ادعى كل
منهما الوصول الى درجة اليقين فضلا عما اذا اقر المخالف لله بان
بنفسه بان مقدمات دليله كلها ماخوذة من الجدليات الثمرة
للظنين كما قد تقدمت حكايته عن المعلم الاول وثانيه الشيخ عند المقابلة
الذي جعلوه رئيسهم بالتعيين بل لا يبعد بعد الاستقراء التام
القول بان المذكور عند المليين قد صار من ضروريات عقول
العوام من الانام فضلا عن الرؤساء العظام والعلماء الفخام لعدم
مفارقته عن فطرة العقول الا فيما يعتري بعضهم من الذهول والى
الله المفزع في كل باب ولله الحمد في المبدء والمآب ثم اعلم ان
للمحققين الدواني في انموذجه في المقام كلاما متينا منقحا يابى النفس

الاذكره

الا ذكره لكونه النصح المبين يوصل المستبصر الى الحق اليقين فانه بعد
ما تكلم في شبهاتهم قال لا يذهب عليك انه اذا ظهر الخلل في دلايل
قدم العالم وثبت بالتواتر اخبار الانبياء الذين هم اصول البرايا واجماع
اهل الملل على ذلك يعني الحدوث بالمعنى المبتدا ولا عند المليين وقد
نطق به الوحي الالهي على وجه لا يقبل التاويل الا بوجه بعيد ينفر عنه
الطبايع السليمة والاذهان المستقيمة فلا محيص عن اتباع الانبياء
في ذلك والاخذ بقولهم كيف واساطين الفلسفة ينتسبون اليهم ويدعون
ان اصول مقالاتهم على ما يزعمون ماخوذة عنهم فاذن تقليد هؤلاء
الاعاظم الذين اصطفاهم الله تعالى وبعثهم لتكميل العباد والارشاد الى
الاصلاح المعاش والمعاد وقد اذعن بكمالهم الفلاسفة اولى واحرى
من تقليد الفلاسفة الذين هم معترفون برجحان الانبياء عليهم السلام
عليهم ويتبركون بالانتساب اليهم ومن العجب العجاب ان بعض المتفلسفة
يتمادون في غيهم ويقولون ان كلام الانبياء مؤول ولم يريدوا به ظاهره
مع انا نعلم قد نطق القران المجيد في اكثر المطالب الاعتقادية بوجه
لا يقبل التاويل اصلا كما قال الامام الرازي لا يمكن الجمع بين الايمان

بما جاء به النبي ص وانكار الحشر الجسماني لانه قد ورد في مواضع من القرآن
المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل اصلا واقول لا يمكن الجمع
بين القدم العالم والحشر الجسماني ايضا لان النفوس الناطقة لو كانت
غير متناهية على ما هو مقتضى القول بقدم العالم امتنع الحشر الجسماني
عليهم لانه لا بد في حشرهم جميعا من ابدان غير متناهية وامكنة
غير متناهية وقد ثبت ان الابعاد متناهية ثم التأويلات التي يتحلونها
في كلام الانبياء ع وان يشك في مثلها في كلام الفلاسفة بل اكثر تلك
التأويلات من قبيل المكابرات السوفسطائية فانا نعلم قطعا ان المراد
من هذه الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة هي معانيها المتعارفة
عند اهل اللسان فانا نعلم قطعا ان المراد من هذه الالفاظ الواردة
في الكتاب والسنة هي معانيها المتعارفة عند اهل اللسان فانا كما
لا نشك في ان من يخاطبنا بالاستفسار عن مسئلة الجزء الذي لا يتجزى
لا يريد بذلك الاستفسار عن حال زيد مثلا في قيامه وقعوده كذلك
لا نشك في ان المراد بقوله تعالى قال مَن يُحيي العظامَ وهي رميم قل يُحييها
الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم هو هذه المعاد الظاهر

لا معنى آخر

لا معنى آخر من احوال المعاد الروحاني الذي يقول به الفلاسفة
وبالجملة النصوص الكتاب يجب الحمل على ظاهرها والتجاوز عن هذا
النهج نحو ضلال والتزامه طريق اهل الكمال والفاضل المجلسي ره
بعد ذكر كلامه هذا في البحار استجوده واستحسنه ولكن لغاية خوضه
في بحار بحاره استدرك لمؤاخذة ما يشعر كلامه باجمال صراح النصوص
عدم قبوله للتأويلات المستقرة عنها الطبايع السليمة معللا بان مجموع
ما ورد فيه غير قابل للتأويل اصلا قال ولعله انما قال ذلك لعدم
اطلاعه على نصوص ائمة الهدى عليهم السلام وقد اطلعت انت
على كثير منها فتامل فيها لحتى لا يختلج ببالك شيء وينقطع منه ان دخل
وعلى الله المعول وهو الكافي لعباده فيما نزل فتثبت ولا تعجل انشاء
الله

الكلام في انه تعالى قادر مختار

في حدوث الخلق من بعد العدم ... من دليل الاختيار في القدم
واهب كل كمال لا يكون ... خاليا عما حبا اهل ذا يكون
امر ايجاب لدينا باطل ... عند كل عاقل لا طائل
اي لب اي عقل يرتضي ... نسبة قط لنفس ما رضي

كلّ ما خيّلتهُ من واسطه غيرُ معقولٍ لدينا الرابطه
بين إيجابٍ وبين الاختيار ليس من شيءٍ فهل من اضطرار
ذا بذ الاوصافِ بعض نقضنا ساحةُ العزِّ علت عن قبضنا
هو في كلِّ كمالٍ كاملُ واهبٌ للكلِّ وفضلٌ شاملُ

لما فرغ من اثبات حدوث العالم ووجود صانع محدث له شرع
في اثبات صفاته العليا وما ينبغي له وما ينبغي عنه ويتنزه عنه فبدء
بذكر صفاته الثبوتية لسبقها في التعقل على السلبية وابتدء بالقدرة
لتوقف مسئلة الايجاد عليها وترتّب عليه احكامه الدال على علمه واما
الارادة فتأخرها ظاهرة لكونها مخصصة ومرجع سائر الصفات ايضا
على العلم والقدرة فيتأخر عنهما وقد اختلف الناس في تحديد القادر
فعن جماعة من المعتزلة انه من كان على صفة لاجلها يصح منه الفعل والترك
ويتمكن منهما وجماعة اخرى ممن نفى الاحوال عنه سبحانه قالوا هو الذي
يصح منه ان يفعل وان لا يفعل واذا فعل فعل باختياره لداع يد
يدعوه ولا يجب ان يصدر عنه الفعل ولا يجوز ان يتأخر عنه كالاحراق
للنار والمنقول عن الحكماء انهم فسروه بمن قارن فعله الارادة سواء

قارنه

قارنه الفعل او تأخر عنه وموضع الخلاف على ما ذكره المحقق الطوسي ره في
قواعد عقايده في الداعي فالمتكلمون يقولون انه لا يدعوا الا الى معدوم
ليصدر عنه وجوده فيكون وجوده قبل وجود الفعل اما بالزمان
كما في افعالنا او بتقديره كما في افعاله سبحانه فكل ما صدر عن الداعي فهو
محدث بالضرورة ومن قال بقدم العالم من الحكماء ينكر ذلك بل معنى
القادر عنده الفاعل بعناية وهو علمه بنظام العالم فيصدر الفعل عنه
على حسبه وبعبارة اخرى عبارة عن تعقل نور الانوار الوجود على ما
هو عليه وانه علة لوجود الموجودات فقد ظهر مما ذكر ان القدرة بمعنى
كونه سبحانه بحيث يصح منه فعل العالم وتركه بالنظر الى ذاته تعالى او
بمعنى كونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل كما قاله جماعة من المحققين موافقا
لما ذكره شارح المواقف وغيره من المتفق عليه بين الفريقين فان القدرة
بمعنى صحة الصدور واللاصدور وصفة كمال وضده نقص والعقل
يحكم بوجوب اتصاف ذات الواجب تعالى شانه باشرف طرفي النقيض لان
مرجع النقص والعجز الى العدم وهو مناف لوجوب الوجود فلذا قالوا
ان واجب الوجود من جميع حيثياته واتفق الحكماء الالهيون مع اهل

الملل على وجوب كونه قادراً غير عاجز وانما النزاع بينهم في معنى آخر و
هو ان كلاً من طرفي النقيض اعني الصدور واللاصدور واقع في
نفس الامر عند المتكلمين بل المليين والقايلون بقدمه منهم لم يوجبوا ذلك
بل مقدم الشرطية الاولى واجب الصدق عندهم ومقدم الثانية ممتنع وكلتا
الشرطيتين صادقتان في حقه سبحانه عندهم كما قال في شرح المواقف وهذا
المعنى عند المتكلمين ايجاب وان سمي بالقدرة فلذا انسب اليهم الايجاب دون
الاختيار والافاضل الحكماء ايضاً يطلقون عليه سبحانه الاختيار ولا يتحاشون عنه
فقد نقل عن الشيخ الرئيس في رسالة المبدء والمعاد انه قال ان الله تعالى كان في خلق
هذا العالم مختاراً وليس المختار اذا اختار الصلاح ففعله يلزمه ان يختار
مقابله ايضاً فيفعله واذا لم يفعل مقابله لم يكن مختاراً بل الاختيار يكون
بحسب الدواعي واذا انه دعاه الى الصلاح فاختاره وقال ايضاً واعلم ان
القدرة هو ان يكون الفعل متعلقاً بمشيته من دون ان يعتبر معها شيئاً
آخر والقدرة فيه تعالى عند علمه فانه اذا علم فيمتثل فقد وجب وجود
الشيء وفينا عند المبدء والاول المحرك وهي فيه تعالى خالية عن الامكان
وهي صدور الفعل عنه بارادة فحسب من غير ان يعتبر معها وجوب استيناف

احد الجزئين

احد الجزئين لانه اراد ولا انه لم يرد وليس هي مثل القدرة فينا فان القدرة فينا
هي بعينها القوة وهي في الاول تعالى الفعل فقط وهي بعينها ارادته وعلمه
والارادة فيه لم يكن لغرض الشبه غير ذاته دفيا تابعة للاغراض تختلفه فلذلك
يختلف انتهى فتبين ان لا نزاع في معنى القدرة الذي هو مفهوم الشرطية بل
في وجوب وقوع مفهوم المقدم وعدم وجوبه وهو امر آخر وكذا وقع الا
تفاق بينهم على القول بالاختيار بمعنى انه فاعل مع الشعور بما يصدر عنه
وليس فاعلاً بالطبيعة وانما اختلفوا في كيفية صدور الاثر عنه ثم عند
القايلين بالقدم من الفلاسفة انما هو على سبيل المقارنة من دون تاخير له تقدم
من دون من قال بقدم العالم منهم وعند القايلين بالحدوث منهم ومن المتكلمين
ان الداعي شرط لتحقق التاثير فيتوقف تاثير المؤثر عليه فعند وجوده يتعين
الوجود قبل وجوده لا يتعين والداعي لا يتوجه الى الموجود بل الى المعدوم
كما سبق بيانه في اثبات الحدوث وتبين مما ذكر ايضاً ان الايجاب بالمعنى المقابل
معنى المتفق عليه منفي عنه سبحانه ايضاً عندهم جميعاً فانه يكون بان لا يكون
للفاعل مشية اصلاً كالنار في الاحراق او بان يكون له مشية لكنه لم يتمكن
معها ان يفعل على وفق ارادته كالمرتعش ولا ريب في انه عجز ونقص يجب تنزيهه

سبحانه عنه واما الايجاب بمعنى ان يريد الفعل دايما فيفعله او لا يريده دايما
فلا يفعله فثابت له تنزهت اسماؤه عند الحكماء ومنفي عنه عند المتكلمين بل الجماعة
المليين فمرجع قول الحكماء على ما يفهم من مقالاتهم الايجاب بالاختيار وهو غير
مناف للاختيار عند محققي المتكلمين ايضا كما سيجيئ بيانه بل يحققه والمتنازع فيه المنفي
عنه هو ضد المعنى المتفق عليه فقط اذ لا يقال للفاعل دائما انه عاجز كما قال بعض
المحققين فالتحقيق ان يجعل محل النزاع شيئا آخر وهو امكان تعلق القدرة و
الارادة القديمة بايجاد القديم او امتناعه والاول مذهب جماعة من الحكماء
والاخير مذهب المليين كافة ويتفرع عليه القدم والحدوث فثبوت احد
اللازمين يجب القول بملزومه فعند الحكماء قد تعلقت ارادة الباري جل شانه
ازلا بايجاد العالم فهو واجب الصدور بها غير منفك بالنظر الى تعلقها وان
جاز بالنظر الى ذاته مع قطع النظر عن ذلك التعلق وعند المحقق الطوسي ره
ومن وافقه من القول بالايجاب الاختياري انما تعلقت الارادة الازلية بايجاد
العالم فيما لا يزال حين علم الاصلح فيه فالتخلف ح محال عندهم كالحكماء واذ قد
عرفت ما هو محل النزاع فعلمت انه لا ينبغي لعلماء المعقول ان يطولوا الكلام
في العبارة والالفاظ وان يجعلوها مسقطا للالحاظ فتلخص مما ذكرنا ان النزاع

في هذه المسئلة في الحقيقة آئل الى متنازعهم في الحدوث والقدم فلذا قال
المحقق الطوسي قدس سره القدوسي في تجريد عقايده وجود العالم بعد عدمه
ينفي الايجاب والمراد به ما قد تبين من المعنى المتنازع فيه اعني كون الواجب تعالى
شانه بحيث لا يتخلف عنه الاثر لا المتفق بين الفريقين بالاتفاق وهل انضمام شرايط
التاثير داخل في مفهوم القدرة قيل نعم حتى زوال المانع وقيل لا فالممنوع
على الاول لا يكون قادرا بخلافه على الثاني فالقادر عندهم من له الصفة
التي يصح وجود الفعل عنه بها عند انضمام شرايط التاثير اليها على ما ذكر
في المجلي ولعل التفصيل هنا احق بالتاويل وهو ان يقال ان كان شرايط
التاثير راجعة الى شريطة نفوذ الاثر في المقدور فالحق الاول او ينتفي
قدرة القادر بفقدها وكذا اذا كان الشرط آئلا الى المانع الخارجي
الوارد للتاثير فان ذلك عجز والعاجز غير قادر واما اذا كان المانع عدم
صلاحية المقدور لقبول الفيض فالحق هو الثاني ومآل النزاع في الحدوث
والقدم ايضا في الحقيقة آئل الى مسئلة واما ما ذكره السيد الشريف في حواشي
شرح القديم للتجريد بقوله اذا لم يجوز ترجيح الفاعل المختار لاحد مقدوريه
على الآخر بلا مرجح وداع اليه فلا فرق بين الموجب بالطبيعة بلا شعور بين

الفاعل بارادة واختيار اذا كانا قديمين فان حدوث الحادث منهما يحتاج
الى سلسلة الحوادث المتعاقبة فغير مفيد لما تحقق من عدم اللزوم وثبوت
الفرق من سبيل آخر واما ما ذكره من البحث فهو باطل لما ثبت من ان الترجح من غير
مرجح لازم للترجيح بلا مرجح وهو باطل بالاتفاق بل مذهب المحققين في هذه
المسئلة موافق لما ذهب اليه الحكماء من ان الشيء ما لم يجب لم يوجد وفيما تقدم
في نفي الاولوية الذاتية تبيان لهذا المطلب بابلغ وجه فتذكره وعلى اي تقدير
فدليل المعنى الاول من القدرة والاختيار ما قد تقدم من البراهين الساطعة في اثبات
الواجب وتبين طريق الاستدلال الموصل الى المطلوب واستدل المحقق الاردبيلي في
تعليقاته على الشرح الجديد للتجريد لهذا المطلب من الدلايل النقلية بقوله سبحانه الحمد لله رب
العالمين من وجهين وبيان ذلك على ما ذكره في حواشي آيات احكامه اما اولهما فمن حيث دلالته
على انه سبحانه خالق لكل ما سواه ومن جملته الحادث فلا يكون موجبا فان اثره قديم وهو ظاهر
ومبين واما ثانيهما فمن حيث ان الحمد انما يكون على الفعل الاختياري فالمحمود لم يكن الا
مختارا ويلزم منه حدوث جميع العالم فان اثر المختار ليس قديما وهو ظاهر انتهى كلامه
وانت خبير بان ما ذكره من الاستدلال انما يتم على ما اوقال احد بالايجاب المحض واما
على قول الحكماء القايلين بانه سبحانه فاعل بالعناية بمعنى ان الفيض الاقدس وكونه منزها

عن النجل مقتضى لخلق العالم على الترتيب الانيق والنهج التوفيق بناء على ما اسسوه من
الاصول وليسندون كل وجود وجود ولو بواسطة او بوسايط اليه سبحانه ويفوضون
اليه التدبير ولا يجعلون ما يزعمونه من الوسايط المستقلة بالتاثير والتصرف في العالم
وينزهون الله ويقدسونه عما لا يليق به فلا ينهض حجة عليهم اصلا لما عرفت انهم
لا يتحاشون عن انتساب كل شيء اليه ولا يستنكفون عنه لقولهم ان لا مؤثر في الوجود
الا الله وبتقدم التصريح منهم بكونه سبحانه مختارا بالمعنى المتقدم وهو يجامع
المحمودية ولا يبطلها والاولى الآيات الدالة صريحا على اثبات القدرة والاختيار
فقد قال سبحانه في سورة آل عمران ان الله على كل شيء قدير وفي سورة هود وهو على
كل شيء قدير وفي سورة النور يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وفي سورة الفاطر
وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا الى غير ذلك
من الآيات الكثيرة والاولى ان يستدل لاثبات محل النزاع بعد اجماع المليين على ما دل من
الآيات على الحدوث المشهور والمسبوق بالعدم وساير الادلة الدالة على ان ايجاد
العالم ليس لوازم ذاته الاقدس وفيضه المقدس حتى يمتنع عليه الانفكاك وسبق العدم كما
تقدم فليعلم واشار بقوله واهب كل كمال الى دفع اعتراض اورده بعضهم على المقدمة
بان صانع العالم لو كان موجبا للزم قدم العالم وبان هذا الدليل انما دل على كون صانع الكل

مختارا الا ان يكون الواجب الوجود لذاته مقتضيا الصانع قديم بالايجاب ثم ذلك الصانع اوجد
العالم بالقدرة والاختيار من اعظم الكمالات فمع قطع النظر عن لزوم وجوب الوجود كيف يمكن ان
يهب كمال الغير و يكون خلوا عنه فان ذلك باطل بالبديهة العقلية عند من له ادنى دربة فان بالاثر
يستعلم شان المؤثر وليس يكون المعلول الموهوب له اشرف من علة الواهب فانه رشحة من رشحات
وجودها وشمة من فيوضات جودها خصوصا على ما هو التحقيق من حاجته دائما الى المؤثر ولذا
قال باقر علوم الاولين والاخرين من اهل البيت المعصومين الطاهرين هل سمي عالما قادرا
الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين وكيف يستقيم عند عقل عاقل ان ينسب جناب
ربه الواجب الوجود الى الايجاب الذي يستحيي من نسبته الى نفسه مع كمال العجز وخلوه عن الوجود في
ذاته فجميع ما تصور من الوسايط لو كانت واقعية فهو لديها من روابط الموجودات الى
القيوم المحض ومن المقربات للقوابل الى استفاضة الفيض من الفياض المطلق ولذا قال المحقق الطوسي [?]
ره [?] والواسطة غير معقولة وفي حل تلك العبارة وجوه آخر اشبهها في المقام منها ان الايجاب
لما انتفى بدليل الحدوث ثبت القدرة لعدم معقولية الواسطة بين الايجاب والاختيار
لان الفاعل اما ان يجب له الفعل بالنظر الى ذاته اولا والاول هو الموجب والثاني هو المختار
ولا يتصور الواسطة بين النفي والاثبات وربما يقرر بان المراد ان بعضهم توهم ان الايجاب هو
ما يرى من تاثير الطبايع وعدم تمكنه من الترك والقدرة هي ما نشاهد في الحيوان من الصفة

الزايدة

الزايدة التي يختلف تعلقه بطرفي الفعل والترك وليس شيء من الامرين مستحقا
في الواجب تعالى شانه اما الاول فلدليل المتقدم واما الثاني فلان القدرة فيه تعالى
شانه عين ذاته لا يختلف تعلقه بالفعل على نحو اختلافهما وهذا التوهم فاسد
لان ما نشاهد في الحيوان قدرة خاصة لا يعتبر شيء من خصوصياته في معنى القدرة
ومفهومها بل معنى القدرة هو التمكن بالفعل والترك فالواسطة ح غير معقولة
ومنها احتمال ان يكون المقصود رد مذهب الاشاعرة القائلين بان ما عدا صفاته
تعالى صادر عنه بالاختيار واما صفاته الثبوتية فصادرة عنه بالايجاب فيجعلونه
تعالى واسطة بين الموجب الصرف والمختار الصرف فساد ما يزعمونه باطل لما تقرر في
موضعه من لزوم تعدد القدماء ولزوم خلوه في حد ذاته عن الكمال وصدور صفات
الكمال عن ذات خلت عنها وقد شهدت الضرورة العقلية باستحالة ذلك كما تقدم
فلذا اشار في آخر الكلام الى دفع توهم ذلك بقوله هو في كل كمال كامل الخ فان
باحتمال الكلمة تتم [?] وجوب وجوده الذي ثبت بالبراهين الساطعة السابقة واتفق
عليه الالهيون من الحكماء وغيرهم ثم بعد ما ثبت معنى القدرة والاختيار وقام
البرهان على ثبوته له جل ثناؤه تعرض لدفع الشبهات الموردة في المقام فقال

الوُجُوبُ بِاخْتِيَارِ الحَكِيمِ   لا يُنَافِي الاخْتِيَارَ وَالكَرَمَ

غنيًا كان الامور في العدم — قادر من فيض جود في القدم

قوة ليست ولا وصف يزيد — وهو الخلاق ما شاء يريد

انتفاء الفعل ليس فعل ضد — هل يكون ترك امر فعل ند

وهو المختار على كل قدير — باستواء الامرين كان جدير

فمنها ما قيل ان تعلق القدرة على المقدور مشروط بامكانه قطعا وهو غير متحقق
فان صدور الاثر اما واجب او ممتنع اذ المؤثر ان استجمع جميع شرائط التاثير وجب
صدور الاثر عنه لامتناع تخلف المعلول عن العلة وان لم يستجمع امتنع فلا يتحقق
الممكنة من الطرفين والجواب ان عروض الوجوب والامكان انما يكون باعتبارين
فعروض الامكان باعتبار مجرد القدرة والاختيار مع قطع النظر عن انضمام ارادته
اليها وعروض الوجوب من اجل وجود الداعي والارادة فلذا قيل الوجوب بالاختيار
لا ينافي الاختيار بل يحققه كما تقدم وتوضيحه على ما ذكره جمال المحققين ان القادر
هو الذي اذا اراد الفعل مثلا وجب صدوره عنه اذ لو امكن عدمه بعد ارادته
لم يكن قادرا عليه فلذا قيل الشيء ما لم يجب لم يوجد فالوجوب بالارادة لا ينافي
الاختيار بل لا بد في الاختيار منه ومنها ما قيل ان القدرة على الاثر اما حاصل
في حال وجود الاثر فواجب وحال عدمه فممتنع فاين متعلق القدرة منهما او ثم

بقوله

بقوله عن ما كان انتهى الجواب يعني لانه معدوم حال حصول القدرة ولكن لا نقول
ان القدرة حال عدم الاثر تؤثر في تلك الحال بل انما تؤثر في المستقبل فيجتمع العدم
في الحال مع الوجود في الاستقبال لفعلية القدرة الذاتية الكاملة الشاملة لكل حال على
وفق ما اراد وشاء على مقتضى حكمته من الممكنات فلذا قال في كتاب التحصيل كما تقدم
فان سئلت الحق فلا يصح ان يكون علة الوجود الا ما هو بريء عن كل وجه عن معنى
ما بالقوة وهذا هو صفة الاول لا غير وقال في الشفاء لا يبقى غير واجب الوجود
بريء عن ملابسة ما بالقوة والامكان باعتبار نفسه وهو المفرد وغيره زوج
تركيبي ومنها ما قيل ان القادر لا يتعلق فعله بالعدم فلا يتعلق الا بالوجود بيان
الاول ان الفعل يستدعي الوجود والامتياز وهما ممتنعان في المعدوم ولان العدم
نفي محض لا يصلح اثرا للمؤثر ولانه في الاصل ازلي ولا يتوقف الازلي بتعلق القدرة
بالمعنى المتنازع فيه وبيان الثاني ان القادر هو الذي يتمكن من الفعل والترك
فاذا لم يتمكن من الترك انتفى تمكنه من الفعل والجواب ان متعلق القدرة هو انتفاء
الفعل وهو يتحقق بان لا يفعل الفعل العدم والنفي وتفصيل الجواب ان في انه
ان اراد انه قادر على فعل العدم فهو غير مسلم لعدم لزومه لمفهوم القدرة وان اراد
انه قادر على ان لا يفعل فهو مسلم وبطلانه ثم في ان انتفاء الفعل غير مستلزم لفعل الضد

والعدم الازلي لهذا المعنى معتقد بان لا يفعل فيستمر العدم او يفعل فيزول
واشار بقوله وهو مختار على الكل قدير الى عمومية قدرته جل ثناؤه على كل
شئ مما يقبل الوجود من قوابل المقدورات اذ المقتضي للقدرة الذات لا غير
وعلة القبول الامكان فان الوجوب والامتناع يابيان عن تعلق القدرة بهما وهو
عام فيعمه القدرة ونسبة الذات الى الكل سواء وهذا المعنى مما جعله العلامة
ره ردا على الفلاسفة القايلين بامتناع صدور الكثرة عن الواحد الحقيقي
معللا باستلزام ذلك لانثلام الوحدة وتكثره وذلك محال وقد تقدم في بحث
الحدوث ما يمكن ان يكون جوابا عنه وحاصله ان الكثرات يجمعها حاجة الامكان
واختلاف حيثيات ذاته سبحانه الى افراد الممكنات يجمعها القيومية فهو قيوم
السموات والارض وما فيهما وما فوقهما او يقال ان استحالة صدور الكثرة عن
الواحد الحقيقي على تقدير تسليمها فانما هي فيما اذا كان باعتبار واحد لا ما اذا كان
باعتبارات مختلفة فلكل من الصادر الاول وساير الكواين وجهة الى جناب
القدس هو موليها مغاير الوجهة معلول الاخر فلا يصدر من وجهة الخاصة غيره ومثل هذا
التاويل لكلامهم اشار المحقق الاحساوي وفيه ايضا رد على المجوس من الثنوية القايلين
بان فاعل الخير يزدان ويعبرون به عنه تعالى وفاعل الشر اهرمن وهو الشيطان بناء على ان فاعل الخير خير

وفاعل الشر شرير والله تعالى خير محض وعلى ساير الثنوية القايلين بانتساب الخير الى النور
والشر الى الظلمة وعلى النظام القايل بعدم قدرته على فعل القبيح لدلالته على الجهل
او الحاجة وعلى البلخي الذاهب الى عدم قدرته سبحانه على مثل مقدور العبد
لانه اما طاعة او سفه وعلى الجبائيين الذاهبين الى ان الله لا يقدر على عين مقدور
العبد والا لزم اجتماع الوجود والعدم لو اراد احدهما والعبد عدمه والجواب
عن كل تلك المقالات ان المقتضي لتعلق القدرة بالمقدور هو الامكان و
هو عام شامل للجميع ما ذكر كما اشار اليه المحقق الطوسي ره بقوله وعمومية العلة
اي الامكان مستلزم لعمومية الصفة يعني القدرة واجيب عن شبهة المجوس بان المراد
من الخير والشر ان كان فعلهما فلا يجوز استنادهما الى شئ واحد وبان الخير
والشر ليسا ذاتيين لشئ فجاز ان يكون الشئ خيرا بالقياس الى شئ وشرا بالقياس
الى اخر فيصح استنادهما الى ذات واحدة واجيب ايضا عن شبهة النظام بان
الاحالة الحاصلة بالنظر الى الداعي فلا ينافي الامكان الذاتي المقتضي لصحة
تعلق قدرة القادر وعن شبهة البلخي بان الطاعة والسفه وصفان لا يقتضيان
الاختلاف الذاتي وعن شبهة الجبائيين ان العدم انما يحدث اذا لم يوجد داعي
القادر الاخر لايجاده او لمجرد مقدوريته غير مستلزم لوقوعه الا مع استجماع الشرايط



ومنها الداعي فما لم يتعلق به الداعي لا يوجد اللهم ان لا يقع بدخول شرائط التأثير
في مفهوم القادر فيصير النزاع مع النظام والجبائي والبلخي لفظيا ويقع
المصالحة بينهم ويرد مذهب الصابئة كل ما دل على امتناع صدور الجسم
من الجسم وغيره اولى بالاستحالة وايضا الكواكب جميعها غير خالية عن مادة
الامكان ومقتضاها نظرا الى ما تقدم من بطلان الاولوية الذاتية افتقارها
في جميع حالاتها الى خالقها خالية في حد ذاتها عن الكمال اللائق بها وما لم
يسد الشيء بطرق العدم الى ذاته يستحيل ان يصدر عنه شيء اخر لضرورة
وصوله في قبول الوجود الى حد الوجوب بناء على ان الشيء ما لم يجب لم يوجد وقد قام
على بطلان مذهبهم دلائل العقل والنقل نعم لو قالوا بالواسطة وان مقتضى
الحكمة ان يجري الاشياء في تلو تلك الاسباب لم يكن مستحيلا عقلا لكن ورد
في الاخبار ما يمنع في اعتقاده وحكم العلماء بتفسيق معتقده فغاية امر الكواكب
ان يكون علامات لتقدير الله سبحانه كما قال عز من قائل وعلامات
وبالنجم هم يهتدون والله تعالى يعلم حقائق افعاله ودقائق مقداره قد تم في يازدهم
شهر محرم الحرام على يد اقل الطلاب الحقير المحتاج الفقير الى رحمة الكريم محمد كاظم الحريري في

سنه ١٢٩٤ هر كه خواند دعا طمع دارم والسلام

